الأشياء التي ورد النهي عنها في الصلاة

التوحيد

جهل الآباء بتعليم العروسين مقاصد الزواج



تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ● العدد ٥٥٦ السنة السابعة والأربعون ● صفر ١٤٣٩ هـ ● الثمن ٢ جنيهات

الخلاف أصوله وضوابطه

- تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية .. حجاب المرأة المسلمة
- عناية السلف بحراسة الجوارح
- رفع علم الشواذ في بلد الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾

السلام عليكم

الشرف والكرامة

يتهافت كثير من الناس ويتزاحمون ويتقاتلون على حطام الدنيا الفاني، ويلهثون إلى موائد الأمراء والحكام، يتزلفون ويتقربون، وينافقون ويكذبون، لعلهم لشهوة بطن أو لمنصب يصيبون. انظروا إلى من تعففوا عن الدنيا فجاءتهم صاغرة، ورغبوا فيما عند الله فأورثهم الدار الآخرة.

دخل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فقال له: يا سالم؛ سلني حاجةً!! فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله. فلما خرج سالم كان الخليفة في أثره فقال له: الآن قد خرجت، فسلني حاجةً، فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: بل من حوائج الدنيا. فقال له سالم: ما سألتُ مَن يملكها فكيف أسأل مَن لا يملكها؟!!

ومثله سفيان الثوري كان بمكة، فجاءه كتاب من عياله من الكوفة: بلغت بنا الحاجة أنا نقلي النوى فنأكله فبكى سفيان. فقال له بعض أصحابه: يا أبا عبد الله! لو مررت إلى السلطان، صرت إلى ما تريد! فقال سفيان: (والله لا أسأل الدنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها)؟!

رحم الله الأخيار.

التحرير

إدارة التحرير || ٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
المركز العام || WWW.ANSARALSONNA.COM
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦
البريد الإلكتروني || MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير || GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات || ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ || ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

رئيس التحرير:

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:

حسين عطا القراط

في هذا العدد

افتتاحية العدد: الرئيس العام	٢
كلمة التحرير: رفع علم الشواذ في بلد الأزهر الشريف	٥
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي	٩
غزوة خيبر: عبد الرزاق السيد عيد	١١
الاقتصاد الإسلامي: د. حسين شحاتة	١٤
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق	١٧
الخلاف.. أصوله وضوابطه: أ.د أحمد منصور سبالك	٢٠
رحل عنا أبو إسلام: د. عبد العظيم بدوي	٢١
باب فقه المرأة المسلمة: د. عزة محمد رشاد	٢٣
منبر الحرمين: معرفة الله تعالى والصلة به: د. خالد الغامدي	٢٦
باب العقيدة: د. صالح الفوزان	٣٠
عناية السلف بحراسة الجوارح: د. عماد عيسى	٣٣
واحة التوحيد: علاء خضر	٣٦
دراسات شرعية: د. متولي البراجيلي	٣٨
باب الفقه: د. حمدي طه	٤١
نظرات في كتاب «تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد»: محمد عبد العزيز	٤٤
إدارة الغضب بين التقييم والتقويم: د. ياسر لمعي	٤٧
باب الأسرة: جهل الآباء بتعليم العروسين مقاصد الزواج: جمال عبد الرحمن	٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش	٥٣
قرائن اللغة والنقل والعقل: د. محمد عبد العليم الدسوقي	٥٧
رضا الله طريق النجاة: صلاح عبد الخالق	٦١
مثل الكلمة الخبيثة: إعداد: مصطفى البصراتي	٦٤
ذنب كبير وعقاب أليم: عبده أحمد الأقرع	٦٦
احذروا المعاصي: صلاح نجيب الدق	٦٩



سكرتير التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٥٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٣٠ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

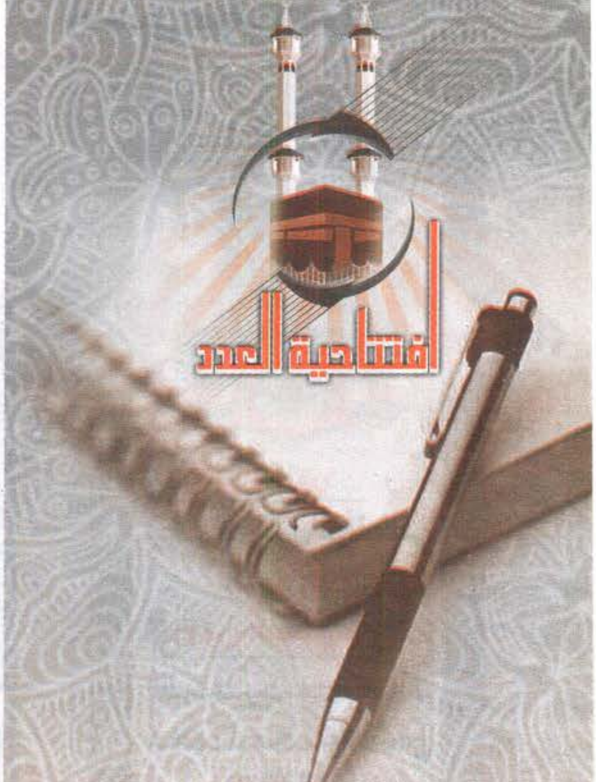
ثمن النسخة

مصر ٣٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

منفذ البيع الوحيد بمقر مجلة التوحيد الدور السابع

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



التحذير من اليأس والقنوط

الحلقة الرابعة

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، والصلاة والسلام على من بعثه برسالة الإسلام وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، وبعدُ:

فقد تحدثت فيما مضى عن وجوب إحسان الظن بالله، وبينت مكانته وأهميته، والموضوع يتسع لأكثر من ذلك، خاصة في الأوقات التي يشتد الضيق فيها والبلاء، غير أني رأيت الاقتصار على ما مضى، وأرجو أن تكون فيه الإفادة لمن اتقى، وأحب في هذا اللقاء أن أعرِّج على اليأس والقنوط من روح الله؛ لأنه يتنافى ويضادّ إحسان الظن بالله، فأقول وبالله تعالى التوفيق:

القنوط: هو اليأس الشديد من حصول الخير. (انظر: لسان العرب ٣٨٦/٧).

وجاء في فتح المجيد: القنوط: استبعاد الفَرَج واليأس منه، وهو يقابل الأمن من مكر الله، وكلاهما ذنب عظيم. (ص٣١٤).

وقد اعتبر أهل العلم اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى من الكبائر. وهذا يبين أهمية الحديث عن هذا الموضوع. قال ابن حجر الهيثمي: «تنبيه: عدُّ هذا كبيرة هو ما أطبقوا عليه وهو ظاهر لما فيه من الوعيد الشديد». (الزواجر: ١٠٤).

وقال القرطبي في تفسيره: «إن القنوط من الكبائر وهو اليأس» (٣٤٨١/٥). وقد ورد عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله». (أخرجه عبد الرزاق في مصنفه ٤٥٩/١٠، وعزاه ابن حجر في الفتح للطبراني وقال: «إنه موقوف» ٦٨٣/١٢).

ومما يدل على خطورة اليأس والقنوط: أن الله تبارك وتعالى وصف بهما الكافرين، فقال في كتابه الكريم: « وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » (العنكبوت:٢٣).

وهذا النوع من اليأس لا يحصل للمؤمنين المصدقين بالله وبكتابه وبرسوله صلى الله عليه وسلم، وإن وقع بعضهم في شيء من اليأس فلا يصل إلى هؤلاء؛ لأن ما عندهم من الإيمان يدفعهم إلى عدم اليأس بالكلية من رحمة الله وعفوه، وقد أوضح ذلك

العلامة السعدي رحمه الله فقال: «يخبر تعالى من هم الذين زال عنهم الخير، وحصل لهم الشر، وأنهم الذين كفروا به وبرسله، وبما جاءوهم به، وكذبوا بلقاء الله، فليس عندهم إلا الدنيا، فلذلك أقدموا على ما أقدموا عليه من الشرك والمعاصي؛ لأنه ليس في قلوبهم ما يخوفهم من عاقبة ذلك.. والإياس من رحمة الله من أعظم المحاذير، وهو نوعان: إياس الكفار منها، وتركهم كل سبب يُقَرِّبُهُمْ منها، وإياس العصاة، بسبب كثرة جناياتهم». (تفسير السعدي ٧٨/٦).

وقد حذر القرآن الكريم في كثير من آياته من اليأس والقنوط، فقال تعالى: « وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » (البقرة:١٩٥)، وقد صرَّح كثير من أهل العلم أن المراد بإلقاء اليد إلى التهلكة هو القنوط من رحمة الله.

قال محمد بن سيرين وعبيدة السلماني: «الإلقاء إلى التهلكة: هو القنوط من رحمة الله تعالى». (تفسير البغوي ١٦٥/١).

وذكر ابن كثير عن النعمان بن بشير، والحسن، وابن سيرين، وأبي قلابة أنهم قالوا: «إنها في الرجل يذنب الذنب فيعتقد أنه لا يُغفَر له، فيلقي بيده إلى التهلكة، أي: يستكثر من الذنوب فيهلك». (تفسير ابن كثير ٣٢٤/١).

وقد أدرك يعقوب عليه السلام أن الفَرَج واليسر يأتي بعد العسر، لاسيما لمن حَسُنَ ظنه بالله، فقال لبنيه وهو يتألم لفراق ولديه: « يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ » (يوسف:٨٧).

قال ابن جرير رحمه الله في تفسير الآية: «يقول تعالى ذكره حين طمع يعقوب في العثور على يوسف قال لبنيه: يا بني اذهبوا إلى الموضع الذي جئتم منه وخلفتم أخويكم به، فتحسسوا من يوسف. يقول: التمسوا يوسف وتعرفوا من خبره، وأصل التحسس التفعل من الحسّ، وأخيه بنيامين، « وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ » (يوسف:٨٧)، يقول: ولا تقنطوا من أن يروِّح الله عنا ما نحن فيه من الحزن على يوسف وأخيه بفَرَج من عنده، فيرينهما، « إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ » (يوسف:٨٧)، يقول: لا يقنط من فَرَجه ورحمته ويقطع رجاءه منه إلا القوم الكافرون يعني القوم الذين يجحدون قدرته على ما شاء تكوينه». (تفسير الطبري ٣٢/١٤).

كما بين الله في آية أخرى من كتابه أن الضالين هم الذين يقنطون من رحمة رب العالمين، فقال في محكم التنزيل: « قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ » (الحجر: ٥٥- ٥٦).

وفي الآية ثناءٌ على خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، وذلك عندما أخبر ملائكة ربه أنه ليس بقانط من رحمة الله لعلمه بعظيم رحمته جل في علاه، وقد وقع منه التصريح بها في هذا الموطن، وهذا شأن من وفَّقه الله وهداه، لأنه يعلم أن الله على كل شيء قدير، فيعيش راجيًا لفضل الله وإحسانه، وبره وامتنانه، وهذا مما يمتاز به المؤمن على غيره، وقد استنبط الشيخ أبو بكر الجزائري من هذه الآية: حرمة القنوط واليأس من رحمة الله تعالى. (انظر: تفسيره ٨٦/٣).

وقد تتابعت آيات القرآن الكريم في الإشارة إلى سعة رحمة رب العالمين؛ ترغيبًا للمؤمن في فضل الله وكرمه، وتحذيرًا له من القنوط من عفوه وفضله، كما قال تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ » (الزمر:٥٣)، وقد صرحت الآية أن الله تبارك وتعالى لا يتعاظمه ذنب، وأنه يغفر الذنوب جميعًا لمن تاب وأناب إليه،

وقد وسعت رحمته كل شيء، وقد ذكر الرازي أن هذه الآية تدل على الرحمة من عشرة أوجه، وهي بأسرها دالة على كمال الرحمة والغفران. (انظر تفسيره ١٣/٤٥٦).

وللشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله كلمات عذبة رقيقة تضمنت معاني عظيمة نافعة فيما أنا بصدد الحديث عنه، يقول فيها: «يخبر تعالى عباده المسرفين، أي: المكثرين من الذنوب، بسعة كرمه ويحثهم على الإنابة، قبل أن لا يمكنهم ذلك، فقال: «قل» يا أيها الرسول ومن قام مقامه من الدعاة لدين الله، مخبرًا للعباد عن ربهم: «يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ» (الزمر:٥٣) باتباع ما تدعوهم إليه أنفسهم من الذنوب، والسعي في مساخط علام الغيوب، «لا تقنطوا من رحمة الله» أي: لا تيأسوا منها، فتلقوا بأيديكم إلى التهلكة، وتقولوا قد كثرت ذنوبنا، وتراكمت عيوبنا، فليس لها طريق يزيلها، ولا سبيل يصرفها، فتبقون بسبب ذلك مُصرِّين على العصيان، متزودين ما يغضب عليكم الرحمن، ولكن اعرفوا ربكم بأسمائه الدالة على كرمه وجوده، واعلموا «أن الله يغفر الذنوب جميعًا» من الشرك، والقتل، والزنا، والرياء، والظلم، وغير ذلك من الذنوب الكبار والصغار، «إنه هو الغفور الرحيم» أي: وصفه بالمغفرة والرحمة وصفان به لازمان ذاتيان، لا تنفك ذاته عنهما، ولم تزل آثارهما سارية في الوجود، ماثلة للموجود، تسح يداه من الخيرات آناء الليل والنهار، ويوالي النعم والفواضل على العباد في السر والجهار، والعطاء أحب إليه من المنع، والرحمة سبقت الغضب وغلبته». (تفسير السعدي ٦/٤٨٣).

ومن رحمة الله بعباده أنه يدفع عنهم أسباب القنوط في معاشهم، فينزل عليهم الغيث من السماء، وينشر رحمته، لتسكن قلوبهم وتهدأ نفوسهم، كما قال تعالى: «وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ» (الشورى:٢٨)، ولهذا أوجب على العباد حمده وشكره، والتطلع إلى فضله وكرمه، والتوبة والإنابة والاستغفار ليجود عليهم بالغفران، «وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ» (آل عمران:١٣٥)، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُعلِّم أصحابه إحسان الظن بالله، ويدفع عنهم اليأس والقنوط من فضل الله، حتى في أصعب الظروف والأوقات، كما في صحيح البخاري عن أبي بكر رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار، فرأيت آثار المشركين، فقلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما». (البخاري: ٤٦٦٣).

كما كان يُثبتُ الخيرية للضعفاء من المؤمنين، حتى لا ييأسوا من رحمة رب العالمين، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير». (مسلم: ٢٦٦٤).

وقد عجب النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمن؛ لأن أحواله كلها إلى خير، كما في حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجبت للمؤمن إذا أصابه خير حمد الله وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد الله وصبر، فالمؤمن يؤجر في كل أمر، حتى يؤجر في اللقمة يرفعها إلى في امرأته». (مسند أحمد ١/١٧٣).

فيا عبد الله: أحسن الظن بالله، ودع عنك اليأس والقنوط من رحمة الله، واعلم أن ربك غفور رحيم، كثير العفو والتجاوز، ومن توكل عليه كفاه ووقاه، وأعزه وأغناه، ودفع عنه شر الأشرار وكيد الفجار.

وفي الختام أتوجه إلى الله العزيز الغفار قائلاً: اللهم يا ربنا نشهدك بأننا أحسنَّا الظن بك، فلا تكلنا إلى سواك، وكن لنا عونًا ونصيرًا ومؤيدًا وظهيرًا، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وآله وأصحابه.

بقلم رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

رفع علم الشواذ في بلد الأزهر الشريف

الحمد لله الذي جعل قوة هذه الأمة في إيمانها، وعزَّها في تمسكها بإسلامها، والتمكين لها في صدق عباداتها، وبعدُ:

إن مآسي أمتنا أضحتْ كثيرةً ومتنوعةً، وجراحاتها مؤلمة وغائرة، ومعاناة المسلمين في تجدد مستمر، وما ذلك إلا مصداقًا لما ذكره نبينا صلى الله عليه وسلم قال: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها...» إلخ، فبالأمس البعيد ظهرت على الساحة وانتشرت ظاهرة «عبدة الشيطان»، ومرت كما تمر علينا المصائب وتطوى آثارها، وسرعان ما تتلوها دفعات أخرى، وتناسيناها وكأنها لم تكن، دون أن نتابع تلك الظاهرة، ونتعرف على أبعادها ونشخِّصها ونحللها، ونضع الخطط لوأدها في حينها، ولكننا لم نبحث عن جذورها، ولا وصلنا لأطرافها، ولا للخطط والأيادي العابثة الأثيمة التي تحركها وتقف وراءها تخطط وتدبِّر بخبثٍ ودهاءٍ لحرب خطيرة، ولكنها هذه المرة حربُ الأفكار ونشر الفتن والمؤامرات للنَّيل من الأمة، وذلك للوصول إلى المبتغى الذي ينشده من أعمى الله بصرهم وبصيرتهم، وطمس على قلوبهم من أصحاب القلوب المريضة، مرة للوصول إلى تفتيت الدول إلى دويلات، فمثلاً كردستان مُسيطر عليها من أصحاب النفوذ الخارجي ودول المصالح الطامعة بل والحاقدة على تلك البلدان، ونيل حصتها من كعكة فتات الأمة التي تشرذمت وضعفتْ فهانت على نفسها وهانت على الناس فهموا أن يأكلوها.

حرب عقدية لضرب الأمة في مقتل

وبالأمس القريب تقع كارثة أعظم لتحقيق نفس الأهداف الخبيثة، ولكن الأخطر هذه المرة أنها حرب على العفة لضرب الأمة في مقتل للنَّيل منها في أهمِّ وأعز ما تملك، وخَلْخَلَة القيم والثوابت التي قامت عليها أمتنا، والتي تمثل الحصن الحصين لمجتمعاتنا ولنسيج الأمة، وفي واقعة خبيثة من العيار الثقيل يخرج علينا فئة من تلكم الشرذمة المنحرفة أثناء حفل شباب في أحد الفنادق في التجمع الخامس، ويرفعون فيه علَمهم في رسالة مفادها بأنه قد آن الأوان لأن يتقبل المجتمع فكرة وجود هؤلاء بيننا بصورة علنية؛ مدَّعين بأنَّ لهم حقوقًا يطالبون بها، بل وصلوا إلى حدِّ أن رسالتهم تشمل المطالبة أيضًا بأننا يجب أن ندعم حقهم في إقامة حفلاتهم الماجنة جهارًا نهارًا.

ورحم الله الإمام الأكبر فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، فأيام عقد مؤتمر السكان في القاهرة في الفترة من ٥-١٣ أبريل سنة ١٩٩٤م تحت رعاية الأمم المتحدة، وانحاز فيه الإمام الراحل- غفر الله له- لمقاومة إصدار توصيات في مؤتمر دولي يُعقَد على أرض مصر، تخالف الشريعة الإسلامية الغراء، من أمثلتها المساواة بين الرجل والمرأة في الميراث التي تشير إليه الفقرة السابعة عشرة من المادة الرابعة، وإلزام الحكومات والمنظمات غير الحكومية برفع الحد الأدنى لسن الزواج، مع إتاحة وسائل تغني عن الزواج المبكر، كما جاء في الفقرة الثانية والعشرين مادة (٤) بما قد يُفهَم على أنه دعوة لتسهيل الدعارة.. إلى غيره الكثير ممن كانوا يريدون إصداره.

ووقف الأزهر الشريف تحت رئاسة شيخه آنذاك «جاد الحق» مع كل مؤسسات الأزهر والمؤسسات

الجمعيات الدعوية بل والشعب المصري في وجه تلك المحاولة الخبيثة، بل إن الفاتيكان نفسه له وجهات أخرى رأت مثلاً في المواضيع التي يناقشها المؤتمر نقاطا غير إنسانية وضد الشرائع السماوية، تتيح إباحة الإجهاض، وحقوق المراهقين، والحرية الجنسية لهم وحقهم في حياة خاصة.

وإننا نرجو الله تعالى أن يُثبِّت كل أجهزة الدولة لكل مَن يريد بنا شرًا؛ لأن مصر على مر العصور وقفت وسوف تقف لكل تلك الفئات الماجنة، حتى تُدرك تلك الفئة الشاذة التي تريد أن تلوِّث مجتمعنا المتدين، فإن مصر العظيمة المتدينة بفطرة شعبها لا يمكن أن تكون مسرحًا ليلهو فيه الشواذ، وإنها ستظل عَصيَّة على مخططاتهم الدنيئة إلى يوم الدين بإذن الله تعالى، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

تحريم الشذوذ الجنسي جاء واضحًا في القرآن الكريم

لقد انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة ما يعرف إعلاميًا باسم «مثلي الجنس»، وهي تعني ممارسة اللواط بين الذكور، وكذلك السحاق بين الإناث؛ تلك الممارسة الشاذة التي تنشأ بين الرجل والرجل، والسحاق للعلاقة غير السوية بين المرأة والمرأة، وهي ممارسة غريبة وممقوتة في مجتمعاتنا الإسلامية والعربية، وبدأت أصوات هؤلاء الشواذ ترتفع، وتنتشر للحصول على حرية وحقوق يعترف بها المجتمع أسوة وتقليدًا لما يحدث في المجتمعات الغربية.

وإن هؤلاء الشباب والفتيات الذين انغمسوا في تلك الموبقات الغريبة علينا والمرفوضة بالفطرة؛ هؤلاء الشباب الذين يقعون فريسة سهلة لشياطين الإنس والجن، وقد ساق لنا القرآن الكريم الأدلة القطعية على تحريم تلك الممارسات تحريمًا قطعيًا، فقد قال الله تعالى: « وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ » (المؤمنون: ٥-٧).

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسيره: «ذكر جل وعلا أن من صفات المؤمنين المفلحين الذين يرثون الفردوس، ويخلدون فيها؛ حفظهم لفروجهم من اللواط والزنا، وبيَّن أنَّ من لم يحفظ فرجه عن الحرام، بل تعدى حدود الله فهو ظالم لنفسه ومهلكها وموبقها، وموقعها في شديد العذاب من الله سبحانه.

وقال الله تعالى: « وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ » (الأعراف:٨٠-٨٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرَّم الله عليه». (متفق عليه).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا». (رواه أبو داود وابن ماجه وهو حديث صحيح).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ملعون من عمل بعمل قوم لوط». (صحيح الجامع).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به». (صحيح الجامع).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أخوف ما أخاف على أمتي من بعدي عمل قوم لوط».(صحيح الترمذي)

والسحاق الذي هو ممارسة بين المرأة ومثيلتها أمرٌ محرمٌ؛ لما في ذلك الأمر من تعد لحدود الله تعالى، وتنكُّب لها إلى ما حرَّم سبحانه من ميل المرأة إلى امرأة مثلها، وممارسة ذلك الأمر المحرم معها، ولا ريب أن هذه العادات دخيلة على الإسلام والمسلمين في بلادهم من جراء ما اقترفوه، ولا شك أن ما يرتكبه بعض النساء مع بعضهن يعتبر شذوذًا جنسيًا، وانحطاطًا إلى منزلة متدنية في المجتمع. وقد جاءت الأدلة محرِّمة هذه العادة في قوله صلى الله عليه وسلم: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يُفضِي الرجل

إلى الرجل في الثوب الواحد، ولا تُفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد». رواه مسلم وغيره.

فهذا تحذير نبوي للأمة من أسباب الوقوع في اللواط والسحاق.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا: «إذا أتت المرأةُ المرأةَ فهما زانيتان». (رواه البيهقي).

فلتتقي الله نساء المسلمين، وليحذرن من عاقبة هذا الأمر الخطير، وليحذرن من الوسائل الهدامة التي تبث سمومها بين المسلمين على حين غفلة من عقولهم، فاللهم احفظ المسلمين والمسلمات بحفظك يا كريم.

ظواهر غريبة ومسيئة لمجتمعاتنا

إن ما يحدث في مجتمعاتنا المسلمة لهو ظاهرة غريبة ومسيئة، وقد بادرت المؤسسات الدينية في مصر وعلى رأسها الأزهر الشريف بإدانة تلك الظاهرة الخبيثة، واصفين تلك الظواهر بأنها تعدُّ حربًا على الله ورسوله، وأن رفع علم الشواذ، وضبط شبكة تبادل الزوجات، وغيرها من الأحداث التي ظهرت بقوة خلال الفترة الأخيرة هي قضايا مجتمعية يجب على مؤسسات الدولة أن تقوم بواجبها مع كل الجهات المعنية بالشباب بدراسة تلك الظواهر الاجتماعية والنفسية، والعمل على علاجها بكل الوسائل المتاحة من خلال الندوات والحوارات، وشبكات التواصل الاجتماعي.

مصر الأزهر ترفض تلك الظواهر وتصفها بأنها جرائم غير أخلاقية

وقد استنكر الدكتور عباس شومان وكيل الأزهر الشريف رفع علم الشواذ جنسيًا في حفل موسيقي بمصر الجديدة قائلاً: «إن رفع راية الشواذ في بلد الأزهر عارٌ يجب ألا يمرَّ مرور الكرام، فهو اعتداءٌ على الشرائع السماوية والأعراف الإنسانية السويّة».

مضيفًا أنه يجب أن يحاسب جميع من شارك فيه ومن سمح به، ويجب منع تكراره مستقبلاً، فهي جريمة إرهابية أخلاقية لا تقل بحال من الأحوال عن الجرائم الإرهابية الدموية التي أرّقت المجتمعات، موجهًا رسالة لرافعي راية الشواذ قائلاً: «ليعلم هؤلاء ومن ساعدهم أن مصر الأزهر بمكوِّنها المسلم والمسيحي لن يجد هؤلاء مأوى لهم، ولا رواجًا لأفكارهم في أي موضع فيها، وأن مصر وأهلها سوف يلفظونهم كما تلفظ النار خبث الحديد».

وقد قال معالي وزير الأوقاف في خطبته التي ألقاها في افتتاح مسجد الوادي المقدس في سانت كاترين: «إن إنسانية الأديان شاملة وليست انتقائية حيث يكون العقاب أحيانًا قاسيًا، لكنه مكافئًا لفداحة الفعل».

وأكد الدكتور جمعة في خطبته على أن التحذير مستمر إلى يوم القيامة بقول الله تعالى: «وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ» (هود:٨٣)؛ مبينًا أن العقاب يطال كذلك الساكت عن الخطأ والمشارك فيه، بينما ينجو فقط الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر مؤكدًا: إن هذا مصير كل من يخرج على سنة الله وفطرته التي فطر الناس عليها.

مصر ترفض الاعتراف بالشواذ على مر السنين

وقد خاضت مصر معارك دولية عدة خاضتها على مدار السنوات الماضية لرفض الاعتراف بحقوق المثليين في مصر، ورفضت بشكل قاطع الاعتراف بهم، والتي كانت ضمن توصيات المجلس الدولي لحقوق الإنسان للأمم المتحدة في المراجعة الشاملة الأخيرة لمصر، كما أن مسئولي الأمم المتحدة قد دعوا الحكومات في جميع أنحاء العالم إلى حماية حقوق الشواذ، ومزدوجي الميل الجنسي ومغاير الهوية الجنسية، وإلغاء القوانين التي تعمل على التمييز ضدهم، ولا تزال مصر تراه مخالفًا لجميع العادات والتقاليد التي يسير عليها المجتمع المصري المسلم.

واعترضت مصر من قبل على المحاولات التي كشفت منذ التسعينيات، حين ضمت الأمم المتحدة حقوق الشواذ ضمن بعثة حقوق الإنسان، بينما لم تؤيد الحكومة حينها نظام حقوق الشواذ، ورغم ذلك لم يُسَنَّ حظر واضح على المثلية الجنسية في القانون الجنائي؛ فلم تذكر كلمة «جريمة الشذوذ» أو «المثلية» بقانون العقوبات، ولكن الآداب العامة، الإخلال بها المنصوص عليه في القانون جعلت هناك مجالاً للتصدي لأيِّ ممارسة من هذه الممارسات أو النظام العام.

وحددت المادة ١٤ من قانون مكافحة الدعارة لسنة ٦١ مادة ١ فقرة (أ) كل مَن حرَّض شخصًا ذكرًا كان

أو أنثى على ارتكاب الفجور أو الدعارة على ذلك أو سهَّله له، وكذلك كل من استخدمه أو استدرجه أو أغواه بقصد ارتكاب الفجور أو الدعارة يُعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنة، ولا تزيد على ٣ سنوات، وبغرامة من ١٠٠ جنيه إلى ٣٠٠ جنيه.

وحددت المادة ١٤ من قانون العقوبات والتي نصت على مكافحة الفسق والفجور، وذلك في المادة ١٧٨ والتي تنص على أن يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على سنتين، وبغرامة لا تقل عن خمس آلاف جنيه ولا تزيد على عشرة آلاف أو بإحدى هاتين العقوبتين كل من صنع أو حاز بقصد الاتجار أو التوزيع أو اللصق أو العرض مطبوعًا، أو مخطوطات أو رسومات أو إعلانات، أو صورًا محفورة أو منقوشة، أو رسومات يدوية أو فوتوغرافية، أو إشارات رمزية أو غير ذلك من الأشياء أو الصور عامة، إذا كانت منافية للآداب العامة.

المؤامرات الإسرائيلية لتقسيم المنطقة

وعلى الطرف الآخر ما زالت تدور المؤامرات وتحاك، ويشارك فيها لاعبون كُثر من أصحاب المصالح سواء في منطقتنا أو من خارجها، والجميع تختلف مواقفهم وردود أفعالهم حسب المصالح، والاستراتيجية الصهيونية لم تكن تستهدف أرض فلسطين فحسب، ولكن مصر كانت الهدف الأسمى ليس الآن فقط، ولكن من قديم الزمان، ومنذ خروج بني إسرائيل من مصر، حيث ترى الادعاء بأنهم بُناة الأهرام، وأن سيناء أرض يهودية، وهذا دليل على الأطماع الصهيونية في مصر والمنطقة.

ومن المعروف أن هناك مخططًا إسرائيليًا لتقسيم المنطقة على أُسس طائفية، فقد أعلن في عام ١٩٨٢م تحت عنوان: «خطة من أجل إسرائيل» كان قد كتبها «أوديد ينون» الدبلوماسي الإسرائيلي السابق، أوضح فيها علاقات إسرائيل بالعالم العربي، وضرورة تفتيت دوله لدويلات صغيرة، انطلاقًا من العراق حتى مصر، مرورًا بسوريا ولبنان والأردن والسعودية والسودان.

وتهدف هذه الخطة، وتلك الاستراتيجية لجعل العالم العربي ينهار ويتفكك إلى كردونات ودويلات صغيرة عرقية ودينية، تتصارع مع بعضها البعض؛ حيث إن العالم العربي مكوَّن من أقليات وطوائف مختلفة، وأنه معرَّض للانفجار والتفتيت العرقي والمذهبي والاجتماعي من الداخل وصولاً إلى الحروب الداخلية، لافتًا أن قوة العراق على إسرائيل في المدى القريب أكثر خطورة من أيِّ قوة أخرى، مشيرًا إلى تقسيمها إلى مقاطعات طائفية، فهل هناك وضوح أكثر من ذلك فيما قد تحقَّق بالفعل في العراق، وتفكيك جيشه وإسقاط تاريخه، والعلاقة بين هذا المخطط الصهيوني والمصالح الأمريكية في المنطقة، وكان الغزو الأمريكي لأفغانستان، ثم غزو العراق كمقدمة للوصول إلى الفوضى غير الخلاقة في الشرق الأوسط، وقد استتبع ذلك وفي نفس الإطار وتنفيذًا للمخطط فصل شمال السودان عن جنوبه.

وكان ما أسموه بالربيع العربي لنشر الفوضى، وإسقاط الأنظمة، وما زلنا نرى ما يحدث في كردستان العراق، وما سيحققه استفتاء انفصال كردستان من نتائج، وما سيحدثه من ردود أفعال وتحالفات وتجاذبات وتوترات؛ نتيجة لتغاير المواقف حسب المستجدات الطارئة، وما سيحققه من نتائج ستصيب استقرار الأمة في مقتل!!

وهذا الاستفتاء الذي حدث في الإقليم، والذي أصاب المنطقة كلها بل والعالم بحالة من الارتباك يُعَدُّ الضوء الأخضر لما سيأتي، فهناك مخطط لفصل دارفور عن السودان، والاعتراف الرسمي بالأمازيغية لغة ثانية بجوار العربية في الجزائر، وتقسيم لبنان لدويلات طائفية، وهناك الحديث المتصاعد عن الوطن الفلسطيني البديل وتهجير شعبه، ومن أجل جعل الدولة الصهيونية أكثر أمانًا واستقرارًا من أيِّ وقت مضى.

أما بيت القصيد فهو مصر يقول «أوديد»: «في مصر توجد أغلبية سنية مسلمة مقابل أقلية كبيرة مسيحية تقدر بنحو ثمانية ملايين نسمة»، ويهدف المخطط إلى إعلان دولة مسيحية في الإسكندرية، ونوبية في أسوان، وبدوية تكون عاصمتها سيناء وشرق الدلتا تكون تحت النفوذ الصهيوني ليتحقق حلم إسرائيل «من النيل إلى الفرات». فاللهم احفظ مصر وجيشها من كل مَن سولت له نفسه التآمر ضدها، اللهم احفظ الأمة من كيد الكائدين ومؤامرات المتآمرين، اللهم مَن أراد مصر وشعبها وأرضها وجيشها بِشرٍّ فاجعل كيدهم في نحورهم.

والحمد لله رب العالمين.

باب التفسير

سُورَةُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ①﴾.

(محمد: ١).

الحلقة الثانية

إعداد د. عبدالعظيم بدوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لا يزال الحديث متصلاً عن صور صد الكافرين عن سبيل الله، ولصدّ الذين كفروا عن سبيل الله وجوه كثيرة منها ما سبق ذكره:

ومنها: إِطْعَامُهُمُ النَّاسَ يَوْمَ بَدْرٍ لِيَثْبُتُوا مَعَهُمْ وَيَكْثُرُوا حَوْلَهُمْ، فلذلك قيل: إِنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي الْمُطْعِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً مِنْ سَادَةِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ. (التحرير والتنوير (٢٦/٧٣و٧٤)).

ومنها: إنفاقهم الأموال بعد بدر لتجهيز جيش لمحاربة المسلمين والأخذ بثأر قتلاهم في بدر:

قال محمد بن إسحاق: لَمَّا أُصِيبَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ أَصْحَابُ الْقَلِيبِ وَرَجَعَ فَلُّهُمْ إِلَى مَكَّةَ، وَرَجَعَ أَبُو سفيان بعيره، مَشَى عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ، وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهلٍ، وَصَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، فِي رِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مِمَّنْ أُصِيبَ آبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ وَإِخْوَانُهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَكَلَّمُوا أَبَا سُفْيَانَ ومن كانت له فِي تِلْكَ الْعِيرِ مِنْ قُرَيْشٍ تِجَارَةٌ. فَقَالُوا: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ وَتَرَكُمْ،وَقَتَلَ خِيَارَكُمْ، فَأَعِينُونَا بِهَذَا الْمَالِ عَلَى حَرْبِهِ، لَعَلَّنَا ندرك منه ثأرًا، ففعلوا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَفِيهِمْ كَمَا ذَكَرَ لِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْـزَلَ اللهُ تَعَالَى: « إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ » (الأنفال: ٣٦).

ومنها: ما ذكره الله تعالى في قوله: « وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ » (آل عمران: ٧٢).

عَنِ السُّدِّيِّ قال: كَانَ أَحْبَارُ قُرَى عَرَبِيَّةَ اثْنَي عَشَرَ حَبْرًا، فَقَالُوا لِبَعْضِهِمْ: ادْخُلُوا فِي دِينِ مُحَمَّدٍ أَوَّلَ النَّهَارِ، وَقُولُوا نَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا حَقٌّ صَادِقٌ، فَإِذَا كَانَ آخِرُ النَّهَارِ فَاكْفُرُوا وَقُولُوا: إِنَّا رَجَعْنَا إِلَى عُلَمَائِنَا وَأَحْبَارِنَا فَسَأَلْنَاهُمْ، فَحَدَّثُونَا أَنَّ مُحَمَّدًا كَاذِبٌ، وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ، وَقَدْ رَجَعْنَا إِلَى دِينِنَا فَهُوَ أَعْجَبُ إِلَيْنَا مِنْ دِينِكُمْ، لَعَلَّهُمْ يَشُكُّونَ، يَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ كَانُوا مَعَنَا أَوَّلَ النَّهَارِ، فَمَا بَالُهُمْ؟ فَأَخْبَرَ اللهُ عزوجل رَسُولَهُ صلى الله عليه وسلم بِذَلِكَ. (البداية والنهاية(٤/١٠)).

ومنها: قول ابن أُبَيٍّ -لعنه الله-: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا.

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ فِي غَزَاةٍ، فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ يَقُولُ: لاَ تُنْفِقُوا

عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ، وَلَئِنْ رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِهِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَمِّي أَوْ لِعُمَرَ، فَذَكَرَهُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَدَعَانِي فَحَدَّثْتُهُ، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ، فَحَلَفُوا مَا قَالُوا، فَكَذَّبَنِي رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَصَدَّقَهُ، فَأَصَابَنِي هَمٌّ لَمْ يُصِبْنِي مِثْلُهُ قَطُّ، فَجَلَسْتُ فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ لِي عَمِّي: مَا أَرَدْتَ إِلَى أَنْ كَذَّبَكَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَمَقَتَكَ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: «إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ» فَبَعَثَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَقَرَأَ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ». (صحيح البخاري: ٤٩٠١).

والإضلالُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ضِدُّ الْهِدَايَةِ والإرشاد. يُقَالُ: أَضْلَلْتُ فُلَانًا إِذَا وَجَّهْتَهُ لِلضَّلَالِ عَنِ الطَّرِيقِ، قال تعالى: «مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ» (الأعراف: ١٨٦)، وقال تعالى: «أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ» (النساء: ٨٨). (لسان العرب (٣٩١/١١)).

ومعنى الآية: الَّذِينَ جَحَدُوا تَوْحِيدَ اللهِ، وَعَبَدُوا غَيْرَهُ، وَصَدُّوا مَنْ أَرَادَ عِبَادَتَهُ وَالإِقْرَارَ بِوَحْدَانِيَّتِهِ، وَتَصْدِيقَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم عَنِ الَّذِي أَرَادَ مِنَ الإِسْلَامِ وَالإِقْرَارِ وَالتَّصْدِيقِ «أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ» أَيْ أَبْطَلَهَا فَلَمْ يَقْبَلْهَا، وَأَرَادَ بِالأَعْمَالِ مَا فَعَلُوا مِنْ إِطْعَامِ الطَّعَامِ وَصِلَةِ الأَرْحَامِ (معالم التنزيل (١٥١/٥)).

ونحو ذلك من أعمال البر، لأن شرط القبول عند الله هو الإيمان، قال تعالى: «فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا» (البلد: ١١- ١٧)، فإن لم يكن منهم حبط عمله، كما قال تعالى: «وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ» (المائدة: ٥)، وقال تعالى: «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَٱتَّخَذُوٓا ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا» (الكهف: ١٠٣- ١٠٦).

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ: ابْنُ جُدْعَانَ: كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ». (صحيح مسلم ١٩٦).

قال الإمام النووي: قال العلماء: ابن جُدْعَانَ اسْمُهُ عَبْدُ اللهِ، وَكَانَ مِنْ بَنِي تَمِيمِ بْنِ مُرَّةَ أَقْرِبَاءِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَكَانَ مِنْ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ كَثِيرَ الإِطْعَامِ، وَكَانَ اتَّخَذَ لِلضِّيفَانِ جَفْنَةً يُرْقَى إِلَيْهَا بِسُلَّمٍ.

وَمَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ مِنَ الصِّلَةِ وَالإِطْعَامِ وَوُجُوهِ الْمَكَارِمِ لَا يَنْفَعُهُ فِي الآخِرَةِ لِكَوْنِهِ كَافِرًا، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: «لَمْ يَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ»، أَيْ لَمْ يَكُنْ مُصَدِّقًا بِالْبَعْثِ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ بِهِ كَافِرٌ وَلَا يَنْفَعُهُ عَمَلٌ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: وَقَدِ انْعَقَدَ الإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّ الْكُفَّارَ لَا تَنْفَعُهُمْ أَعْمَالُهُمْ، وَلَا يُثَابُونَ عَلَيْهَا بِنَعِيمٍ وَلَا تَخْفِيفِ عَذَابٍ، لَكِنَّ بَعْضَهُمْ أَشَدُّ عَذَابًا مِنْ بَعْضٍ بِحَسَبِ جَرَائِمِهِمْ. (شرح النووي على مسلم (٨٧/٣)).

وهذا حكم من مات على الكفر كما قال تعالى في آخر السورة: «إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ» (محمد: ٣٤).

ومعنى ذلك أن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ» (النحل: ١١٩)، كما قال تعالى: «قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ» (الأنفال: ٣٨)، وقال تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ» (البروج: ١٠)، فعلق العذاب على عدم التوبة، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْكَرَمِ وَالْجُودِ، قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالمغفرة. (تفسير القرآن العظيم (٤٩٦/٤)).

للحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله الهداية والتوفيق.



محرم
سنة ٧
هجرية

فصول من السيرة

الحلقة الثانية

غزوة خيبر

من آيات النبوة في خيبر

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلِّه ولو كره المشركون، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعدُ:

إعداد/ عبدالرزاق السيد عيد

فهذه وقفتنا الثانية مع غزوة خيبر التي وعد الله بها رسوله والذين آمنوا معه في قوله تعالى: « وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ » (الفتح:٢٠)، وقد تحقق وعدُ الله للنبي والمؤمنين، وتم فتح خيبر كما بينا في اللقاء السابق بفضل الله ورحمته، واليوم نقف معكم وقفة يسيرة من دلائل صدق النبي صلى الله عليه وسلم وآيات نبوته في هذه الغزوة المباركة.

أولاً: أولى هذه الآيات بركة الطعام وزيادته:

عن سُوَيْد بْنَ النُّعْمَان أَنَّهُ خَرَجَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ خَيْبَرَ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالصَّهْبَاءِ، وَهِيَ أَدْنَى خَيْبَرَ، فَصَلَّى الْعَصْرَ ثُمَّ دَعَا بِالأَزْوَادِ فَلَمْ يُؤْتَ إِلاَّ بِالسَّوِيقِ فَأَمَرَ بِهِ فَثُرِّيَ، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَكَلْنَا، ثُمَّ قَامَ إِلَى الْمَغْرِبِ فَمَضْمَضَ وَمَضْمَضْنَا ثُمَّ صَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ». (رواه البخاري: ٢٠٩).

وواضح من هذا الحديث أن الجيش المتكون من ألف وأربعمائة أكل من بقايا الطعام القليل الذي يُسمى بالسويق، وهو عبارة عن طعام مصنوع من القمح أو الشعير على شكل طحين يُحمل مع المسافر وكان قليلاً، فلما ثُرِّيَ على السفرة وبفضل الله ثم بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم زاد هذا الطعام حتى شبع منه جميع الجيش والحمد لله، وليست هذه أول مرَّة يزداد فيها الطعام والماء، فتكرر ذلك في غزوة الخندق وتبوك وغيرهما، والحمد لله على نعمه.

ثانيًا: بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في شفاء علل علي رضي الله عنه:

عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ؛ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ

وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا؛ فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقِيلَ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأْتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ». (البخاري: ٣٩٧٣).

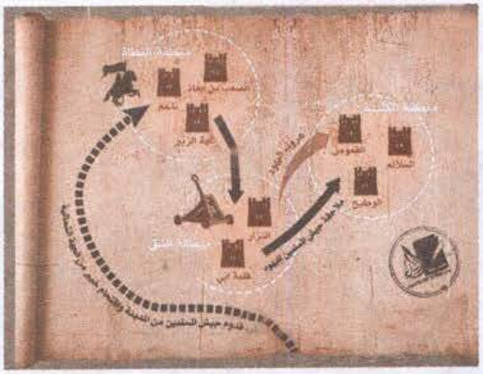
من هذا المشهد العظيم نأخذ بعض الفوائد:

١- منها بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وتفله في عيني علي رضي الله عنه، فبرئت بفضل الله وقام عليٌّ وليس بعينيه رمد ولا وَجَع، والحمد لله على فضله.

٢- ثقة النبي صلى الله عليه وسلم في نصر الله، وأنه سيُفتح على يد عليٍّ رضي الله عنه بعد أن جهد المسلمون أمام حصن ناعم، واستشهد تحته محمد بن مسلمة الأنصاري، وادخر الله هذا الفتح لعلي رضي الله عنه، والرسول عليه الصلاة والسلام يعلم ذلك مما علّمه الله، ولذا قال لعلي: «انفذ على رسلك». وهذه ورب الكعبة لغة الواثق في نصر الله، ثم أوصى علياً بوصايا تفهم منها الغاية من الجهاد في الإسلام.

٣- الغاية من الجهاد في الإسلام:

ليست الغاية من الجهاد في الإسلام احتلال الأرض وقتل الشعب وكسب المغانم، كلاً بل الغاية هي فتح القلوب لعلام الغيوب سبحانه، ودخول الناس في دين الله الذي لا يقبل الله سواه، والذي بعث به رسوله ومصطفاه، فلا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم، ولا كتاب مُنزل من عند الله بعد القرآن، ولا دين إلا الإسلام، لذلك قال النبي لعليٍّ: «لأن يهدي بك الله رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم»، يعني دخول فرد واحد في الإسلام



خير من أغلى شيء كان يعتز به العرب من متاع الدنيا.

وقال له كما في رواية صحيح مسلم: «قَاتِلْهُمْ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ». يعني عصموا منك دماءهم وأموالهم فلا تقاتلهم، واقبل منهم علانيتهم ودَعْ سرائرهم لله سبحانه وتعالى. فهل هناك رحمة أعظم من ذلك؟

٤- أهل السنة والجماعة أهل إنصاف وصدق في نقل الأخبار وفي موقفهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهذا الخبر مروي عند البخاري ومسلم وكتب أهل السنة التي لا يأخذ منها الروافض إلا إذا كان فيه ما يريدون، وأهل السنة يعرفون لعلي رضي الله عنه فضله فيها وشجاعته وقوته وعلمه ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ كما يعرفون لأبي بكر فضله ومكانته، ولعمر ولعثمان، ولجميع الصحابة.

والمشاركون في خيبر كلهم من أصحاب بيعة الرضوان الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، لكن الروافض الشيعة يبالغون في أمر علي رضي الله عنه مبالغة ممقوتة يمقتها أهل البيت جميعًا، وهذه المبالغة على حساب تحقير شأن الصحابة الكرام أمثال أبي بكر وعمر وعثمان في يوم خيبر، ويذكرون روايات لم تصح في خيبر تبالغ في فضل علي رضي الله عنه على حساب هؤلاء الكرام

من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ فجاملوه بما زعموه وخسروا أصحاب النبي الكرام من أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من أهل بيعة الرضوان؛ لأنهم لم يتحلوا بالإنصاف، ولم يتحروا الصحة في نقل الأخبار ولا الصدق في القول.

أما أهل السنة والجماعة-والحمد لله- فقد تحلوا بالإنصاف والصدق في القول، وتحروا الصحة في نقل الأخبار؛ فكسبوا محبة عليٍّ وأهل البيت ومحبة جميع الصحابة الكرام وعلى رأسهم أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وجميع أهل بيعة الرضوان وجميع الصحب الكرام، والحمد لله رب العالمين.

وفوق هذا كله فاز أهل السنة والجماعة برضوان الله؛ لأن الله يحب الصادقين ويحب المنصفين، ويحب مَن يحب أصحاب رسوله ويترضى عنهم.

ثالثًا: قصة الشاة المسمومة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةٌ فِيهَا سَمٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنَ الْيَهُودِ»، فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَبُوكُمْ؟ قَالُوا: أَبُونَا فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَذَبْتُمْ بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ، فَقَالُوا: صَدَقْتَ وَبَرِرْتَ. فَقَالَ: هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا. قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ فَقَالُوا نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُفُونَنَا فِيهَا. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اخْسَئُوا فِيهَا وَاللهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا»، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سَمًّا؟ فَقَالُوا: نَعَمْ. فَقَالَ: مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ فَقَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَّابًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ». (رواه البخاري: ٥٤٤١).

وفي رواية ابن إسحاق أن الذي أهدى الشاة زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم، وقد سألتْ: أيّ عضو من الشاة أحبّ إلى محمد، فقيل: الذراع اليمنى، فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة، ثم جاءت بها، فأما النبي فلاك منها شيئًا فلم يسغها، وأما بشر بن البراء بن معرور فأساغها، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن هذا العظم أخبرني أنه مسموم». ثم دعا بها فاعترفت، وقالت المقولة السابقة لليهود.

قال ابن القيم في زاد المعاد: «وجيء بالمرأة إلى رسول الله، فقالت: أردت قتلك. فقال: ما كان الله ليسلطك عليَّ. قالوا: ألا تقتلها؟ قال: لا، ولم يتعرض لها ولم يعاقبها، واحتجم على الكاهل، وأمر مَن أكل منها فاحتجم، فمات بعضُهم، وقد اختلف في قتل المرأة.

والصحيح والله أعلم أن الرسول عفا عنها أولاً ولم ينتقم لنفسه، فلما مات من مات من الصحابة بسبب السم قتلها قصاصًا.

وفي هذه القصة من الدروس والفوائد ما يلي:

١- لقد أطلع الله رسوله على أخبار من الغيب، ومكّنه من تكليم الجماد له؛ حيث كلّمته عظام الشاة، وأخبرته أنها مسمومة.

٢- عناد اليهود وكذبهم رغم علمهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم حق، وأن الله يطلعه على الغيب، فكذبوا عليه في ذكر أبيهم فأخبرهم بالحقيقة، ومع ذلك لم يؤمنوا به، وحاولوا قتله مرارًا، وآخر محاولة هذه التي فعلتها هذه المرأة والقوم وراءها، وإن كانت هي أكثر حنقًا على النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين بسبب كثرة من مات، فأرادت الانتقام، وقد صرحت بذلك فيما نقله ابن القيم في زاد المعاد.

٣- ومن الفوائد عفو النبي صلى الله عليه وسلم، فقد عفا عن اليهود رغم اعترافهم بوضع السم في الشاة، أما المرأة فقتلت قصاءً، والله أعلم.

أسأل الله أن يكتب لنا ولكم منازل الشهداء والأبرار، والى لقاء بحول الله وقوته.



مقومات الإنتاج في المنهج الاقتصادي الإسلامي وضوابط السلوك الاستهلاكي في الاقتصاد الإسلامي

إعداد / د. حسين حسين شحاتة

يعتمد الإنتاج في المنهج الاقتصادي الإسلامي على مقومات أساسية سبق أن تناولناها بالتفصيل في المقالات السابقة، والتي تتلخص في الآتي:

(١) العمل: ويتمثل في الجهد العضلي والذهني وتراكم المعرفة.

(٢) الموارد الطبيعية: التي سخرها الله لعباده.

(٣) المال: الذي رزقه الله لعباده.

(٤) ما سخره الله عز وجل: من مقومات أخرى باطنة لم تعرف بعد.

ويركز الإسلام على عنصر العمل باعتباره أهم ركن في العملية الإنتاجية واشترط فيه مجموعة من الشروط سبق وأن تناولناها في الفصل الثاني وتتلخص في الآتي:

- القيم الإيمانية: ومنها الإيمان والتوقي والصلاح واستشعار مراقبة الله في كل الأعمال والمحاسبة والمراقبة الذاتية.

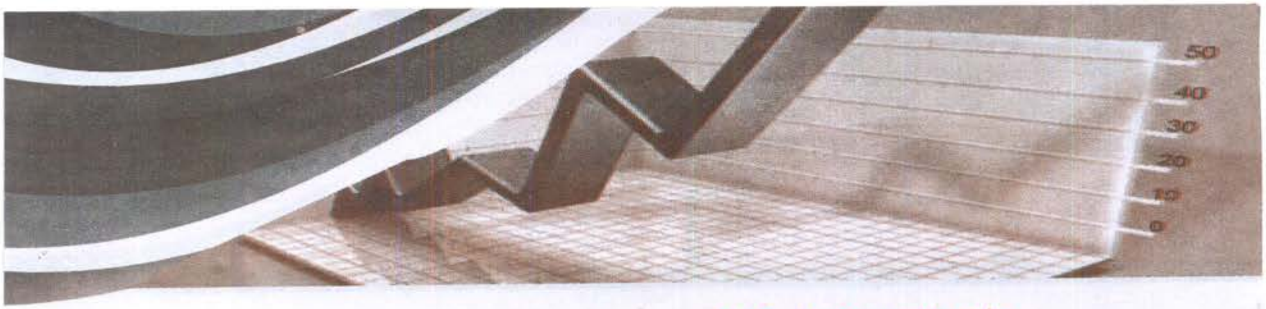
- القيم الأخلاقية: ومنها الأمانة والصدق والإخلاص والإتقان والانضباط والوفاء.

- القيم السلوكية: ومنها الحب والأخوة والتعاون والتكافل والتضامن والتسامح والتيسير والقناعة.

- الكفاءة الفنية: مثل المعرفة الفنية واستخدام أساليب التقنية الحديثة ما دامت لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية.

ويجب على الدولة أن توفر للعنصر البشري العامل بيئة صالحة ليقوم بدوره في عمارة الأرض.

ولقد ربط الإسلام بين الفرد والإنتاجية والتي يقصد بها مقياس العلاقة بين الناتج وعوامل الإنتاج المسببة لهذا الناتج، وتوجد إنتاجية للعمل، وإنتاجية لرأس المال، وإنتاجية الأرض، والإنتاجية الكلية هي قيمة الناتج مقسومة على قيم عوامل الإنتاج.



وأهم المقومات الإسلامية لرفع الإنتاجية وجودة الإنتاج ما يلي:

(١) الاهتمام بانتقاء وإعداد وتدريب العامل وتنميته عقدياً وخلقياً وسلوكيّاً وفنيّاً وفقاً لمعايير الكفاءة والأمانة، وتحقيق الأمن والسكينة له والجزاء العدل والأجر الإضافي، فاليد المرتعشة لا تبدع ولا تبتكر.

(٢) تنمية الموارد الطبيعية والمحافظة عليها وترشيد استخدامها بالأساليب المفيدة والنافعة دون إسراف أو تبذير أو تبديد، ويجب الأخذ بأساليب التقنية الحديثة المشروعة.

(٣) المحافظة على المال وتنميته وتوظيفه وفقاً للأسس والصيغ الإسلامية التي ترفع من كفاءة تشغيله، ومنعه من التشغيل الحرام، ومن أهمها: الربا والاكتناز والحث على الادخار والاستثمار وفقاً للصيغ الإسلامية.

(٤) تطوير وتنمية المؤسسات المالية وكذلك الأدوات والأساليب والأسواق الإسلامية التي تساهم في تسهيل سيولة الأموال من وإلى الوحدات الاقتصادية والنظر إلى هذه المؤسسات المالية على أنها وسيلة لغاية، هي توفير الأموال للتمويل واستخدامه في الإنتاج طبقاً لصيغ الاستثمار الإسلامي.

(٥) ضبط وترشيد نفقات الإنتاج وتطهيرها من كل نواحي الإسراف والضياع والتبذير والترف والمظهرية لأن ذلك يقود إلى تخفيض التكلفة وزيادة العائد بما يمكن الوحدة الاقتصادية من النمو والتطوير.

ضوابط السلوك الاستهلاكي في الاقتصاد الإسلامي:

مفهوم الاستهلاك وعلاقته بالحاجات الأصلية في الاقتصاد الإسلامي:

الاستهلاك في الشرع هو الإنفاق بمعناه اللغوي وهو الإفناء بالنسبة للمال مع الإنسان بنفسه أو بواسطة غيره، بشرط أن يكون مشروعاً إي: فيما أحله الله، ويقصد بسلوك المستهلك بأنه التصرفات والأفعال التي يقوم بها عند اتخاذ قرار بالإنفاق لشراء حاجاته أو إشباع رغباته.

ويحكم ذلك مجموعة من الحوافز والبواعث والعادات والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع والتي تعارف عليها الناس، وينضبط هذا السلوك في الإسلام بمنظومة من القيم الإيمانية والأخلاقية، وكذلك منظومة الضوابط الشرعية حتى يكون قراره الاستهلاكي متوافقاً مع أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية، ولقد سبق أن تناولنا ذلك تفصيلاً في الفصل الثاني.

أثر القيم الإيمانية والأخلاقية على سلوك المستهلك في الاقتصاد الإسلامي

يعتقد المستهلك المسلم بأن الغاية من الإنفاق توفير الحاجات الأصلية لبناء الجسد لطاعة وعبادة الله،



وتأسيساً على ذلك فإنه يلتزم في سلوكه بشرع الله عز وجل حتى ينال الثواب والأجر، ويتجنب ما نهى الله عنه وهذا يحقق له الاطمئنان القلبي والراحة النفسية.

كما أن تحلي المستهلك بخلق الأمانة والصدق والاعتدال والقناعة والسماحة والوفاء، وتجنب الإسراف والتبذير والترف والبذخ والمظهرية والتقليد المخالف لشرع الله عز وجل، يحقق له سلوك استهلاكي رشيد.

وخلاصة القول ينجم عن القيم الايمانية والأخلاقية للمستهلك المسلم سلوكاً سوياً يقود نحو الحلال الطيب النافع.

الضوابط الشرعية للسلوك الاستهلاكي في الاقتصاد الإسلامي

يقصد بالضوابط الشرعية للسلوك الاستهلاكي بأنها الأحكام والمبادئ الكلية التي تضبط سلوك المستهلك، وتهدف إلى تحقيق ما يلي:

- بيان حكم الله في الأعمال والتصرفات والقرارات الاستهلاكية بين الحل والحرمة.
- تعتبر المرشد إلى الحلال لاتباعه، والحرام لتجنبه.
- تعتبر من المقاييس لتقويم السلوك الاستهلاكي للأفراد والمؤسسات.
- تعتبر المرجع لتوقيع العقوبة على السلوكيات المخالفة.

وتتسم هذه الضوابط بخصائص من أهمها: الثبات والشمولية والاستمرارية والموضوعية والعقلانية والقابلية للتطبيق في كل زمان ومكان.

وتقسم هذه الضوابط إلى مجموعتين هما:

- ضوابط السلوك الاستهلاكي في مجال المباحات (الواجبات).
- ضوابط السلوك الاستهلاكي في مجال المحرمات (المنهيات).

وسوف نتناول كل مجموعة من هذه المجموعات بشيء من التفصيل في البنود التالية:

مقومات السلوك الاقتصادي الرشيد في الاقتصاد الإسلامي:

هناك العديد من المؤثرات والمقومات في السلوك الاقتصادي الإسلامي، نلخصها في الآتي:

- عامل إشباع الحاجات والرغبات.
- عامل توافر الإمكانيات والقدرات.
- عامل القيم الإيمانية والأخلاقية.
- عامل الضوابط الشرعية.
- عامل الأسعار الناجمة من تفاعل العرض والطلب.
- عوامل أخرى معنوية.

فإذا توافرت هذه المقومات والعوامل كان السلوك رشيداً ويحقق الإشباع المادي والروحي للمستهلك.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

باب السنة

الفوائد والدرر من حديث موسى والخضر

إعداد د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد كانت قصة موسى مع الخضر عليهما السلام من روائع القصص؛ لما ورد فيها من عجائب الأخبار في صحيح الآثار بل وفي الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وبرز فيها من الفوائد العقدية والفقهية والتربوية ما لا يحيط به عنوان واحد للقصة، وقد تحيرت في عنوان للحديث أو القصة؛ إذ إن بها معاني ربما لا يحيط بها عنوان واحد، ولعل هذا ما دفع إمام المحدثين البخاري رحمه الله أن يضعها في ثلاثة مواضع من صحيحه إذ في كل مكان فائدة مختلفة، فاجتهدت في اختيار عنوان مجمل يكشف عن درره في كوامنه.

الحديث:

روى البخاري رحمه الله بسنده إلى سعيد بن جبير رحمه الله قال: قلت لابن عباس إن نوفًا البكالي يزعم أن موسى ليس بموسى بني إسرائيل إنما هو موسى آخر؟ فقال كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم: (قام موسى النبي خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه إن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال: يا رب وكيف به؟ فقيل له احمل حوتاً في مكتل فإذا فقدته فهو ثم، فانطلق وانطلق بفتاه يوشع بن نون، وحمل حوتاً في مكتل حتى إذا كانا عند الصخرة وضعا رؤوسهما وناما فانسل الحوت من المكتل فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وكان لموسى وفتاه عجباً، فانطلقا بقية ليلتهما ويومهما.

فلما أصبح قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. ولم يجد موسى مسّاً من النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به، قال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة؟ فإني نسيت الحوت؟ قال: موسى ذلك ما كنا نبغي

فارتدا على آثارهما قصصًا.

فلما انتهيا إلى الصخرة إذا رجل مسجى بثوب أو قال تسجى بثوبه فسلم موسى، فقال: الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ فقال أنا موسى فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً؟ قال: إنك لن تستطيع معي صبراً؛ يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم علمكه لا أعلمه. قال: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً.

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ليس لهما سفينة فمرت بهما سفينة فكلموهم أن يحملوهما فعرف الخضر فحملوهما بغير نول، فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: يا موسى، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة فنزعه فقال موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ قال: ألم أقل لك إنك لن تسطيع معي صبرا؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيت- فكانت الأولى من موسى نسيانًا-.

فانطلقا فإذا غلام يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده، فقال موسى: أقتلت نفساً زكية بغير نفس؟ قال: ألم اقل لك إنك لن تسطيع معي صبراً؟- قال ابن عيينة: وهذا أوكد- فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجد فيها جدارًا يريد أن ينقض فأقامه، قال الخضر بيده فأقامه فقال له موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجراً. قال: هذا فراق بيني وبينك). قال النبي صلى الله عليه وسلم: (يرحم الله موسى لوددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما).

أولاً: التخريج:

١- رواه الإمام البخاري في ثلاثة كتب من صحيحه:

أ- كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله رقم (١٢٢) (٥٦/١).

ب- كتاب الأنبياء: باب حديث الخضر مع موسى، (١٢٤٦/٣)، (٣٢٢٠).

ج- كتاب التفسير، باب تفسير سورة الكهف (١٧٥٢/٤)،(٤٤٤٨)،(٤٤٤٩)، (٤٤٥٠)

٢: أخرجه مسلم في الفضائل باب من فضائل الخضر عليه السلام رقم ٢٣٨٠.

٣: سنن الترمذي ت شاكر (٣٠٩/٥) رقم (٣١٤٩) أبواب تفسير القرآن.

ثانيًا: مفردات الحديث:

- (نوف البكالي) هو تابعي جليل من أهل دمشق فاضل عالم لاسيما بالإسرائيليات وكان ابن امرأة كعب الأحبار رحمه الله.

- (كذب عدو الله) أي أخبر بما هو خلاف الواقع. ومراد ابن عباس رضي الله عنهما الزجر والتحذير لا المعنى الحقيقي لهذه العبارة.

- (فعتب) لم يرض منه بذلك وأصل العتب المؤاخذة.

- (بمجمع البحرين) ملتقى البحرين وفي تسمية البحرين أقوال.

- (مكتل) وعاء يسع خمسة عشر صاعًا.

- (فانسل) خرج برفق وخفة.

- (سرباً) مسلكًا يسلك فيه.

- (نصباً) تعبًا.

- (مساً) أثراً وفي رواية (شيئاً).

- (مسجى) مغطى.

- (وأنى بأرضك السلام) كيف تسلم وأنت في أرض لا يعرف فيها السلام.

- (نول) أجر.

- (فعمد) قصد.

- (الأولى) المسألة الأولى.

- (زكية) طاهرة لم تذنب.

- (وهذا أوكد) أي قوله.

- (ألم أقل لك) لزيادة لك فهذا أوكد في العتاب.

- (استطعما) طلبا طعاماً.

- (ينقض) يكاد يسقط.

- (قال الخضر بيده) أشار بها.

- (من أمرهما) من الأعاجيب والغرائب) (ينظر: تعليقات البغا على صحيح البخاري: ١/٥٦، ٤/١٧٥٤).

ثالثاً: فوائد الحديث

من أولّ ما يستفاد من الحديث: هو أن استقبال الشرع يحتاج إلى نية وتسليم وافتقار وعقل؛ لذا لا يوقف أمام ما تشابه منه إلا موقف العابد الدارس المؤمن بربه والمتبع لنبيه، ويكون من دينه كما أراد الله له أن يكون، لا موقف الشاك المتربص لدعاة السوء أدعياء العقلانية والعلمانية زعموا وما صدقوا، وما أكثر هؤلاء في هذه الأزمنة المتأخرة الغابرة.

لذا فإن عبارة مثل التي قالها الصحابي الجليل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق التابعي الجليل نوف البكالي: (كذب عدو الله) يتلقاها أهل الإيمان بما ذكرنا من أحوالهم تجاه الشرع، ويتلقاها أهل الزيغ والطغيان بالتشكيك في كل شيء، في الراوي والمروي في السند والمتن ثم في السنة والدين كله.

وعليه فإن المراد من هذه العبارة صار شبهة أسارع إلى إزالتها من القلوب لدفع التهمة عن التابعي الجليل نوف البكالي وهو مؤمن، وكان عالماً قاضياً إماماً لأهل دمشق أن يتهم بكونه عدواً لله، وكذلك عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتهم تابعياً كهذا أن يكون كذلك.

والجواب عنْ قوْله: (كذب عدو الله) أن ذلك وَقع من ابْن عبّاس على طَريق الإغلاظ على الْقَائل، بخلاف قوْله، وألفاظ الْغَضَب تَجيء علَى غير الْحقيقة في الْغَالب، وَابْن عبّاس قَالَه علَى وَجه الزّجر عَن مثل هَذَا الْقوْل، لا أَنّهُ يعْتَقد أنه عَدو لله ولدينه حَقيقة، إنّمَا قَالَه مُبالغة في إنْكاره، وَكَانَ ذَلكَ في حَال غضب ابْن عبّاس لشدّة الْإنْكار، وَحَال الْغَضَب تطلق الْأَلْفَاظ وَلَا يُراد بهَا حقائقها.

وَقَالَ ابْن التّين: لم يرد ابْن عبّاس إخْرَاج نوف عَن ولَايَة الله، وَلَكن قُلُوب الْعلماء تنفر إذا سَمعت غير الْحق، فيطلقون أَمْثَال هَذَا الْكَلَام لقصد الزّجر والتحذير منْهُ وَحقيقته غير مُرَادة.

وهناك تأويل آخر قاله بعض أهل العلم، وهو أن المراد كذب شيطانه. (ينظر شرح النووي على مسلم: ٤/١٨٤٧). وللحديث صلة إن شاء الله مع باقي ما يُستفاد من هذه القصة المباركة، والحمد لله رب العالمين.

الخلاف.. أصوله وضوابطه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

فقد تحدثنا أيها القارئ الكريم على مدار عام كامل تقريبًا عمن يزعمون أنهم أهل الفكر، وبيّنا أن للفكر أصولاً وضوابط يجب على من يزعم ويدَّعي أنه مُفكِّر أن يأخذ بهذه الأصول وينضبط بتلك الضوابط.

إعداد: د. أحمد منصور سبالك

وعليه؛ فمن يخرج عن هذه الأصول والضوابط لا فكْرَ له، وهذا ينطبق على أغلب من يزعمون أنهم مفكرون إسلاميون؛ فلا أصول لهم ولا ضوابط في فكرهم ألبتة، وكانت النتيجة القدح في السنة النبوية وردها، ورد ما جاء فيها، وذلك بطعنهم في دواوين السنة المعتبرة عند أهل العلم الثقات وعلى رأسهم «الجامع الصحيح» للإمام العَلَم أبي عبد الله البخاري، رحمه الله.

وحتى لا يطول بنا الكلام فكرت أن نبدأ سوياً في مقالات نكتب فيها عن الفكر الصحيح، وعن ضوابطه، وأصوله.

ففي كل مرة سنختار موضوعًا نطوف حوله نبيِّن أطرافه ومراميه حتى ننتهي منه فندخل في غيره بإذن الله تعالى، وقد اخترت أن نبدأ بالحديث عن: «الخلاف.. أصوله وضوابطه».

ومن ثَمَّ ندخل في منظومة الخلاف بأُطُرها الأربعة؛ لنتعرف على كيفية التعامل مع الخلاف عند أهل العلم، وهذه المنظومة التي لها إطار عام من خلاله نتعرف على أصوله وضوابط الخلاف، وهذه الأطر الأربعة:

تصور الخلاف.. الحكم عليه.. الموقف من القول المخالف. وأخيرًا: الموقف من قائل هذا القول.

فهذه الأركان الأربعة من خلالها يكون الكلام على الخلاف كما ذكرت، والأهم كيفية التعامل مع هذا الخلاف.

وبهذا نصل إلى كيفية التفكير في مثل هذه القضايا، لكن من وجهة نظر أهل العلم ومصادرهم التي تركوها لنا، لا من وجهة نظر الهوى والأغراض غير السليمة، التي تقدح في الشرع الحنيف وتشكك فيه.

وللحديث عن هذه المنظومة سنسلك فيه الكلام من خلال مقدمة، وعشرة محاور، وسأذكرهم على سبيل الإجمال، ثم نفصِّل الكلام في كل محور على حدة بإذن الله تعالى:

المقدمة: «المسلمون أمة واحدة».

والمحور الأول: «مشروعية الخلاف، أو واقعيته».

المحور الثاني: «أسباب وقوعه».

المحور الثالث: «الشروط التي يجب توافرها فيه».

المحور الرابع: «الصفات الواجب توافرها في المخالف».

والمحور الخامس: «مدى وقوع التلفيق فيه وشروطه».

المحور السادس: «المسائل التي يقع فيها».

المحور السابع: «الصفات الواجب توافرها فيمن يرده».

المحور الثامن: «أقسامه وحكم كل قسم».

المحور التاسع: «ضوابط التعامل مع المخالف».

المحور العاشر والأخير: «الآثار المترتبة عليه».

فتلك عشرة كاملة نستطيع أن ندخل بها في منظومة الخلاف، والتي بها يعلم كل طالب علم قدره مع أقوال أهل العلم؛ لأنه بذلك يتسنى له معرفة كيفية وصول العلماء لهذه الأقوال.

فبإذن الله تبارك وتعالى نبدأ في المقال القادم في هذه السلسلة التي أسأل الله تعالى أن ينفع بها قارئها وكاتبها، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلِّ اللهم وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه.

رحل عنا أبو إسلام ..
وسكت صوته وجف قلمه

إعداد: د. عبدالعظيم بدوي

هو أبو إسلام صالح بن طه بن عبد الواحد، وُلِدَ بعزبة الزعفران التابعة لقرية الشين مركز قطور محافظة الغربية، يوم الثلاثاء الخامس من جمادى الأولى ١٣٧٢هـ الموافق ١٩٥٣/١/٢٧م، درس بمدرسة الشين الابتدائية، ثم الإعدادية، ثم التحق بمدرسة الرافعي الثانوية بطنطا، فلما حصل على الثانوية دخل كلية الزراعة بكفر الشيخ، وتخصص في استصلاح الأراضي، ولكن الله تعالى أراد له أن يعمل في استصلاح القلوب، كما سيرد في ذكر مؤلفاته: كيف تصلح قلبك؟!

فلما تخرج من الجامعة عام ١٩٧٧م التحق بالجيش لأداء الخدمة العسكرية، ثم أنهاها في ١٩٧٨/١٢/٣١م، فعمل مدرسًا بالتربية والتعليم الفصل الثاني من العام الدراسي، وفي صيف ذلك العام سافر إلى الأردن، فعمل مدرسًا للرياضيات بمدرسة الفيصلية الإعدادية شرقي سحاب، فقضى بها عامًا ثم نزل إلى مصر فتزوج، وأكرمه الله تعالى بزوجة نحسبها صالحة ولا نزكيها على الله، ثم عاد بها إلى الأردن، فحبَّب الله إليه العلوم الشرعية، فبدأ بحفظ القرآن الكريم حتى أتمه، واجتهد في طلب العلوم حتى نال منها قسطًا وافرًا، وفي عام ١٩٨٣م انتقل من الفيصلية إلى سحاب، وابتدأ في صعود المنابر، فكان ينتقل من قرية إلى أخرى لإلقاء خطبة الجمعة، وفي سحاب اتصل بكل من الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ محمد نسيب الرفاعي، والشيخ محمد إبراهيم شقرة، رحمهم الله جميعًا، حتى هيأ الله له مسجد عبد الله بن عمر في سحاب، فولي الإمامة والخطابة فيه حتى عام ١٩٨٥م، ثم وسع الله عليه فانتقل من سحاب إلى مسجد إبراهيم الحاج حسن بضاحية إبراهيم الحاج حسن بعمَّان، فولي الإمامة والخطابة والتدريس به، ووضع الله له القبول، حتى صار يُقصد من كل مكان، لسماع خطبه ودروسه، وقصده طلاب العلم من كل مكان، وأخذ يتنقل في مساجد عمان لإلقاء الدروس والمحاضرات، وقوَّى صلته بالشيخ الألباني حتى صار من أحب طلابه إليه، وكان الشيخ يشهد عنده الجمعة، ودُعِي لإلقاء الدروس والخطب في كلٍّ من الإمارات والبحرين والكويت، وسافر إلى كندا.

وفي عام ١٩٨٨م ترك التدريس وتفرغ للمسجد.

ومن فضل الله عليه أن متعه بالصحة والعافية طوال عمره حتى بلَّغ رسالة ربه التي اصطفاه لها، حتى ابتلي في عام ٢٠١٣م بسرطان في البروستاتا فعولج منه، ثم انتقل المرض إلى الكبد فأخذ في العلاج منه، ولم يقعده ذلك عن وظيفته ومهمته، فلم يترك الخطبة ولا الدروس، وفي النصف الأول من شعبان الماضي سافر للعمرة والتقيت به، وأقمنا معًا أسبوعًا في الحرم المكي، وأوصاني بالصلاة عليه، ورجع إلى مسجده فقام رمضان إمامًا، وختم القرآن في القيام، وبعد عيد الفطر اشتد عليه المرض ومع ذلك استمر في أداء مهمته وتبليغ رسالة ربه، ولما حضر موسم الحج سافر للحج برفقة ابنه أحمد صالح، وكان يتنقل على الكرسي، فلما رجعَ رجعَ مرهقًا متعبًا منهكًا، فدخل مستشفى الأردن بعمان فمكث أسبوعًا ثم خرج، فلم يمكث بالبيت سوى يوم أو يومين

حتى عاد إلى المستشفى، فاتصل بي أبناؤه فأخبروني فطرت إليهم، ومن المطار مباشرة إلى مستشفى الأردن، فدخلت عليه وأرجو أن أكون قد أدخلت السرور على قلبه بدخولي عليه، وكان قد دخل في شبه غيبوبة، وثقل لسانه، فأقمنا معه أسبوعًا نلاطفه أحيانًا ويرد علينا، وكان إذا أفاق أذّن وأقام وصلى، وكان يرفع السبابة في التشهد يحركها يدعو بها كما كان يصلي في صحته، وبعد أسبوع وقبل الفجر طلب من مرافقيه من أبنائه أن يتصلوا بنا وأن يطلبوا حضور أهله وأولاده جميعًا وأنا معهم، فصلينا الفجر وطرنا إليه، فلما دخلنا عليه طلب أن نقعده، وأخذ يوصينا جميعا بتقوى الله، وأنا أستمع وأكظم حزني، وأكفكف دمعي إظهارًا للتماسك أمام الأولاد، حتى غلبتني عيني فسالت دموعي، فخرجت من عنده، وكان هذا آخر عهده بالكلام، فلم يتكلم بعد ذلك، ومضت الأيام وحاله يتغير يومًا بعد يوم، حتى إذا كان يوم الثلاثاء ١٣/ محرم/١٤٣٩هـ الموافق ٢٠١٧/١٠/٣م أصبح في حالة حرجة، ونقصت دقات قلبه، إلى قبيل الغروب ظهرت عليه علامات الموت، وهرول إليه الطبيب ومساعدوه، وحاول أن يصنع شيئًا ولكن نفذ قضاء الله، فقال لنا بحزن باد عليه: توقف القلب!! وذلك عند النداء لصلاة المغرب، فقلنا ما أمرنا الله به: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرنا في مصيبتنا وأخلف لنا خيرًا منها، اللهم اغفر لأبي إسلام، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، وأفسح له في قبره، ونوِّر له فيه.

وتذكرت عندئذ قول الله تعالى: (فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ) [الواقعة: ٨٣-٩٦] .

ورجعنا به إلى البيت، وفي الصباح تمّ تجهيزه، وبعد صلاة الظهر صليت عليه تنفيذًا لوصيته بعد استئذان إخواننا العلماء الحاضرين، وخرجت الجنازة من مسجده بضاحية الحاج حسن محمولا على الأعناق في مشهد رهيب، وزحام شديد، ذكّرنا بقول الإمام أحمد-رحمه الله-: بيننا وبينكم يوم الجنائز.ودُفنَ-رحمه الله- بمقبرة أم الحيران بوسط عمان بالقرب من مسجده.

وهكذا رحل عنا أخي أبو إسلام، وسكت صوته، وجف قلمه الذي سطر به كل ما خطب به، وجمعه في كتب انتشرت بين الخطباء خاصة وطلاب العلم عامة، وهي: ١-العقيدة أوّلاً. ٢- أحسن البيان.٣-سبل السلام.٤-الصحابة.٥-تبصرة الأنام.٦-حياة السعداء.٧-الفرقان من قصص القرآن.٨-البيان.٩-البرهان.١٠-ثمرات السيرة النبوية.١١-البشارات النبوية.١٢-المبشرون بالجنة.١٣-المبشرون بالنار.١٤-السبيل في فقه الدعوة.-١٥-وسائل الثبات على الدين.١٦-محبة علي بن أبي طالب بين الغلو والجفاء.١٧-صيحة نذير.١٨-الحصن الحصين.١٩-مداخل الشيطان.٢٠-وبشر الصابرين.٢١-هدية النبي الرحيم لمرضى المسلمين. ٢٢-كيف تصلح قلبك.٢٣-كيف تصلح لسانك.

وبهذه الكتب وما حوته من علم قائم على : قال الله، قال رسوله، قال الصحابة، يستمر عمل أخي أبي إسلام، كما في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: « إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةٍ: إِلاَّ مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ ». وقد تفضل الله على أخي أبي إسلام بهذه الثلاثة، فهذا هو علمه، وقد وُفق لصدقة جارية، ورزقه الله ذرية طيبة صالحة من البنين والبنات، كلهم أخذ من القرآن، وأكثرهم ختمه وجوَّده، فاللهم انفعه بما قدَّم وأخّر، واجعله له عندك ذخرا، وألحقه بالصالحين.

اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده، واغفر لنا وله، وللمسلمين والمسلمات.



باب فقه المرأة المسلمة

باب الطهارة

(الحلقة الثانية)

إعداد د/عزة محمد رشاد (أم تميم)

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما بعد: فقد كان موضوع الحلقة السابقة عن بيان أنواع الإفرازات الخارجة من المرأة وحكمها، وقد ذكرنا منها أربعة أنواع، وهي المذي، والودي، والمني، والصفرة والكدرة، وبقي النوع الخامس، وهو رطوبة فَرْج المرأة، ولا يخفى أن معرفة المرأة لهذا النوع من الإفرازات من الأهمية بمكان.

خامسًا: رطوبة فرج المرأة:

الرطوبة لغة: مصدر رطب، وهي بمعنى البلل، قال ابن منظور: الرَّطب بالفتح ضد اليابس. والرطبُ: الناعم. قال ابن الأعرابي: يقال للرطب: رطب يرطب، ورطب يرطب رطوبة؛ والرطب: المبتل بالماء- لسان العرب (١٦٦/٤) مادة رطب.

الرطوبة اصطلاحًا: ماء أبيض متردد بين المذي والعرق، فلهذا اختلف فيها. انظر المجموع شرح المهذب للنووي (٥٧٠/٢).

حكمها:

للعلماء في رطوبة فرج المرأة قولان:

القول الأول: رطوبة فرج المرأة نجسة ناقضة للوضوء، وحجتهم في ذلك:

١- الحديث الذي أخرجه الشيخان، وفيه أن أبي بن كعب قال يا رسول الله: إذا جامع الرجل المرأة فلم ينزل؟ قال: «يغسل ما مسَّ المرأة منه، ثم يتوضأ ويصلي».

قال النووي في شرح مسلم (٢٧٤/٢) في معرض شرح حديث الباب، وقوله صلى الله عليه وسلم (يغسل ما أصابه من المرأة): «فيه دليل على نجاسة رطوبة فرج المرأة، وفيها خلاف معروف، والأصح عند بعض أصحابنا نجاستها، ومن قال بالطهارة يحمل الحديث على الاستحباب وهذا هو الأصح عند أكثر أصحابنا والله أعلم».

وقال النووي في شرح مسلم (٢٧٣/٢): «اعلم أن الأمة مجتمعة على وجوب الغسل بالجماع، وإن لم يكن معه إنزال، وعلى وجوبه بالإنزال... إلى أن قال: وأما حديث أبي بن كعب ففيه جوابان: أحدهما: أنه منسوخ، والثاني: أنه محمول على ما إذا باشرها فيما دون الفرج والله أعلم. ا.هـ.

٢- القياس على المذي فإنه نَجِس ناقض للوضوء.

وكل ما خرج من السبيلين نجس، ورطوبة فرج المرأة خارجة من أحد السبيلين.

قال ابن قدامة في المغني (٨٨/٢): « وفي رطوبة فرج المرأة احتمالان:

أحدهما: أنه نجس؛ لأنه في الفرج لا يخلق منه الولد، أشبه المذي.

وممن ذهب إلى نجاسة رطوبة فرج المرأة كثير من المالكية (مواهب الجليل ١٠٥/١)، والمشهور من مذهب الشافعية (المجموع شرح المهذب للنووي ٥٧٠/٢)، وطائفة من الحنفية (رد المحتار على الدر المختار ٣٤٩/١)، وهو قول في مذهب أحمد (المغني لابن قدامة ٦٥/٢).

القول الثاني: رطوبة فرج المرأة طاهرة، وهذا ما ذهب إليه الشافعي في أحد قوليه (المجموع شرح المهذب للنووي ٥٧٠/٢)، والصحيح من مذهب أحمد (المغني لابن قدامة ٦٥/٢)، وهو قول أبي حنيفة (حاشية ابن عابدين ٣١٣/١). وحجتهم في ذلك:

١- حديث عائشة رضي الله عنها الذي رواه مسلم في صحيحه: وفيه أنها قالت: (وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَفْرُكُهُ مِنْ ثَوْبِ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم فَرْكًا فَيُصَلِّي فِيهِ). صحيح مسلم (٢٨٨).

قال ابن قدامة في المغني (٣٨٨/٢) لأن عائشة كانت تفرك المني من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من جماع- فإنه ما احتلم نبي قط- وهو يلاقي رطوبة الفرج، ولأننا لو حكمنا بنجاسة فرج المرأة، لحكمنا بنجاسة منيها؛ لأنه يخرج من فرجها، فيتنجس برطوبته. وقال القاضي: ما أصاب منه في حال الجماع فهو نجس؛ لأنه لا يسلم من المذي، وهو نجس.

ولا يصح التعليل؛ فإن الشهوة إذا اشتدت خرج المني دون المذي، كحال الاحتلام».

قال الشوكاني في نيل الأوطار (١٤١/٢): « في معرض شرحه لحديث معاوية، قال: قلت لأم حبيبة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم: أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

> الأمة مجتمعة على وجوب الغسل بالجماع وإن لم يكن معه إنزال.

يصلي في الثوب الذي ينام معك فيه؟ قالت: «نعم، ما لم ير فيه أذى- أخرجه أحمد (٢٦٧٦٠) وابن خزيمة (٧٧٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٢٥٥) وصححه الألباني «صحيح النسائي» (٢٩٤).

ومن فوائد حديثي الباب أنه لا يجب العمل بمقتضى المظنة؛ لأن الثوب الذي يجامع فيه مظنة لوقوع النجاسة فيه، فأرشد صلى الله عليه وسلم إلى أن الواجب العمل بالمئنة دون المظنة. ومن فوائدهما كما قال ابن رسلان في «شرح السنن»: طهارة رطوبة فرج المرأة، لأنه لم يذكر هنا أنه كان يغسل ثوبه من الجماع قبل أن يصلي، ولو غسله لنقل. ومن المعلوم أن الذكر يخرج وعليه رطوبة من فرج المرأة. ا.هـ.

الراجح:

ابتداء لا بد أن نعلم أن المسألة لم يأت فيها نص من الكتاب أو السنة ولم ينعقد الإجماع على شيء، ولكن يمكن أن نخلص من المسألة بالآتي:

١- أن الأصل في الأعيان الطهارة، حتى يأتي دليل على نجاستها.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٥٣٥/٢١): «فاعلم أن الأصل في جميع الأعيان الموجودة على اختلاف أصنافها وتباين أوصافها أن تكون حلالاً مطلقًا للآدميين، وأن تكون طاهرة لا يحرم عليهم ملابستها ومباشرتها ومماستها، وهذه كلمة جامعة، ومقالة عامة، وقضية فاضلة عظيمة المنفعة، واسعة البركة، يفزع إليها حملة الشريعة، فيما لا يحصى من الأعمال.ا.هـ.

٢- قاعدة «المشقة تجلب التيسير» والاحتراز من رطوبة الفرج فيه من المشقة التي لا تخفى، وقد رفع تعالى عن عباده الحرج، قال ربنا تبارك وتعالى: (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (الحج: ٧٨).

٣- من المعلوم عند علماء الأصول أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، قال جل ذكره (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) (مريم: ٦٤)، ولو كانت رطوبة فرج المرأة نجسة لبين ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لنساء الأمة لشدة الحاجة لمعرفة الحكم.

٤- قياس رطوبة فرج المرأة على المذي قياس مع الفارق؛ لأن المذي يخرج عند الشهوة، والرطوبة لا تخرج بشهوة، أما القياس على أن كل ما خرج من السبيلين نجس، فهذا الطرد لا يستقيم، فالريح تخرج من السبيلين وليست بنجسة؛ بدليل أننا لم نؤمر بالاستنجاء منها، والولد يخرج من قبل المرأة وهو طاهر.

٥- حديث عائشة المتقدم أول المسألة، وإجابة الجمهور على أن مني الأنبياء لا يكون إلا من جماع، وأنه يلاقي رطوبة الفرج، فدل ذلك على طهارتها، وهذا ما ذهب إليه أبو حنيفة، والصحيح من مذهب أحمد، والشافعي في أحد قوليه، والله تعالى أعلم.

وهل رطوبة فرج المرأة طاهرة ناقضة للوضوء أم طاهرة وغير ناقضة للوضوء؟

اعلم أنه لم يأت دليل من الكتاب أو السنة ولم يُنقل عن الصحابة القول بأن رطوبة الفرج ناقضة للوضوء وكذا لم ينعقد الإجماع.

وذهب جماهير العلماء إلى أن رطوبة فرج المرأة ناقضة للوضوء قياسًا على كل ما يخرج من السبيلين.

والتحقيق أن رطوبة فرج المرأة تخرج من مخرج الولد (المهبل)، وليس من السبيلين، ولو سلمنا أنها تخرج من السبيلين فقد أشرنا – آنفًا- أنه ليس كل ما يخرج من السبيلين نجس.

وقال ابن حزم في معرض كلامه أن رطوبة فرج المرأة لا تنقض الوضوء: «برهان إسقاطنا الوضوء من كل ما ذكرنا، هو أنه لم يأت قرآن ولا سنة ولا إجماع بإيجاب وضوء في شيء من ذلك- (المحلى ٢٣٦/١).

وهذا ما ذهب إليه ابن عثيمين في الشرح الممتع- (٤٥٦/١).

وهو الراجح لانعدام الدليل على وجوب الطهارة من رطوبة الفرج، والله تعالى أعلم.

> ذهب جماهير العلماء إلى أن رطوبة فرج المرأة ناقضة للوضوء قياساً على ما يخرج من السبيلين.

معرفة الله تعالى والصلة به

الحمدُ للهِ الذي كتبَ السعادةَ والسُّرورَ لعبادِه الطائِعين، وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له إلهُ الأولين والآخرين، وأشهدُ أن نبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه أفضلُ الأنبياء والمُرسَلين، اللهم صلِّ وسلِّم وبارِك عليه وعلى آلِه وأصحابِه أجمعين.أما بعد..

إعداد الشيخ الدكتور: خالد بن علي الغامدي
إمام المسجد الحرام

أيها المُسلمون: إن لله تعالى جنَّتَين: جنَّة مُعجلة في الدنيا، هي وسيلة وطريقٌ إلى الجنَّة الأُخرى جنَّة عرضُها السماواتُ والأرض، وكثيرٌ من الناس خَرَجُوا من الدنيا وهم لم يذوقُوا طعمَ جنَّة الدنيا المُعجَّلة، ولم يعرفوا لها رَسمًا ولا وَسمًا، مما كان سببًا لجفافِ الأرواح، وصدأ القلوب، وتناكُر النفوس، واستيلاءِ أمراضِ الشهوات والشُّبُهات على العقولِ والقلوب.

إن هذهِ الجنَّةَ المُعجَّلة في الدنيا هي جنَّةُ المعرفة باللهِ والصِّلة به، تلك المعرفةُ الحقَّةُ الحيَّةُ النَّابِضَة، إنها جنَّةٌ - واللهِ - وأيُّ جنَّة؟!

مَن ذاقَها، وتنعَّمَ بها، وارتشَفَ رحيقَها لم يَبغِ عنها حوَلاً، ولم يطلب غيرَها بدَلاً، إنها أُنسُ المؤمنين، وبَهجةُ المُوحِّدين، ولذَّةُ الصادقين.

ومهما سعَى الناسُ في طلبِ اللذَّة والسعادة والطُّمأنينة فلن يجدُوها على الحقيقة والدوام إلا في معرفة الله والأنس به، واستحضار قُربه ومعيَّته-سبحانه-، التي تَفيضُ على العبدِ ألوانًا من الحُبُور والسُّرور والرِّضا، وفرح القلب، ونَشوة النَّفس، حتى إنه ليعبُدُ الله كأنَّه يَراه، فيكونُ اللهُ تعالى سمعَه الذي يسمَعُ به، وبصَرَه الذي يُبصِرُ به، ويدَه التي يبطِش بها، ورجلَه التي يمشِي بها.

فأيُّ حياةٍ يعيشُها هذا العبدُ؟! وأيُّ سعادةٍ يتلذَّذُ بها مَن وصَل إلى هذه المرحَلَة من الإيمانِ والمعرفة والإحسان؟!

أمةَ الإسلام: إن معرفةَ الله هي بابُ التوحيد الأعظَم، ومنشورُ الولايةِ الأقوَم، ومَن رسَخت في قلبِه هذه المعرفةُ، وعرَفَ اللهَ بأسمائه وصفاته وربوبيَّته وأفعاله، دخلت قلبَه أنوارُ التوحيد ولا بُدَّ، فلا يعبُدُ إلا الله، ولا يسألُ إلا الله، ولا يصرفُ ألوانَ العبوديَّة كلها إلا لله وحدَه.

ولن يصلَ عبدٌ إلى تحقيقِ التوحيد الخالص لله إلا بالمعرفة الحقَّه به -سبحانه وتعالى-، وهذه هي طريقةُ القرآن في تقرير توحيد الألوهيَّة، أنه يستدلّ بمعرفة الله وأسمائه وصفاته وربوبيّته على توحيدِ الألوهيَّة والإلزام به، كما في قوله:

(ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ) (الأنعام: ١٠٢)، وكما في الآيات التي في سورة النَّمل التي يُعدِّدُ الله فيها نِعَمَه وبديعَ مخلوقاته، ثم يقرِّرُ مُلزِمًا: (أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ) (النمل: ٦٠)؟!.

ويقول -سبحانه-: (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) (يونس: ٣)، والآياتُ في هذا المعنى كثيرةٌ جدًّا.

إن امتلاءَ القلوب بمعرفة الله وتوحيده وإجلاله يُخرجُ منها فسادَها وأمراضَها وكِبرَها وعلوَّها، ويُزكِّي النُّفوسَ والأرواحَ، ويُؤسِّسُ فيها معاني الإيمان، وحقائقَ اليقين، والتوكل، والإخلاص، والصِّدق، فيُصبحُ العبدُ ويُمسي في نعيمٍ لا يُشبهُه نعيمٌ، واثقٌ بربِّه، غنيٌّ بمولاه، عزيزٌ بسيِّده، راضٍ بأفعاله، مُطمئنٌّ لأقداره، قد تحرَّرَ من عبوديَّة الخلق والدِّرهم والدِّينار، وحُظوظ الشَّرف والجاه، وصارَ عبدًا لله وحدَه الذي عرَفَه وعرَفَ أنه الذي بيده مفاتيحُ كل شيءٍ -سبحانه-، وهو الغنيُّ له مقاليدُ السماوات والأرض.

أيها المسلمون: إن توحيدَ الربوبيَّة والأسماء والصِّفات الذي هو توحيدُ المعرفة والإثبات هو أساسُ اليقين والإيمان، ومُحرِّكُ القلوب إلى علَّام الغُيُوب، وإفراده بالعبادة والتوجُّه والقصد، وهو الوَقودُ الحيُّ الفعَّالُ لحياة النفوس وثباتها، وسعادة الأرواح، والعاصمُ لها من وساوس الشيطان وأفكار الرَّدَى والضلال.

ولذلك فإن الله -سبحانه- يُحبُّ من عباده أن يعرفوا، وينظُروا في بَديع صُنعه وأفعاله، ويتفكَّروا في مخلوقاته، ومن هنا كان القرآنُ كلُّه في تعريف الخلق بربِّهم -سبحانه-، والحديث عنه وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وتشريعاته الحكيمة، وربط القلوب به -سبحانه-؛ لكي تُشرقَ عقولُهم وأرواحُهم بإفراد ربِّهم -سبحانه وتعالى- بالقصد والطلب، الذي هو توحيدُ العبادة والألوهيَّة، فهما مُتلازمان - ولا بُدَّ-: توحيدُ المعرفة والإثبات، وتوحيدُ العبادة والطلب، لا ينفكَّان عن بعضهما.

وهذا هو الطريقُ، هذا هو السَّبيلُ - عباد الله-، هذا هو المنهجُ الصحيحُ في تربية الناس ودعوتهم، والأصلُ في المبتدأ والمنتهى في كل خطابٍ دعوي.

ولقد أخطأ كلَّ الخطأ مَن سلكَ غيرَ هذا السَّبيل في التربية والدعوة، وظنَّ أنه يُمكنُ إصلاحُ قلوب الناس وعقولهم بفلسفات وأفكار لا طائلَ تحتَها إلا الحيرةُ والقلقُ، أو بلُعاعة من الدنيا وماديَّاتها، أو بنَعَرات وعصبيَّات جاهليَّة حزبيَّة.

ألا ليتَ الدُّعاةَ والمُصلحين وأربابَ الأقلام في وسائل الإعلام وغيرها يستشعرُون فداحةَ الخَطب، وحَمَ الخسارة حينما ينشغلوا بأمور جُزئيَّة فرعيَّة، ويغفلُون عن هذا الأصل العظيم الذي به حياةُ القلوب والعقول واستقامتُها وفلاحُها، وهو السِّياجُ المنيعُ لكل المُجتمع ضدَّ أفكار التطرُّف والشُّبُهات وأمراض الهوَى والشَّهوات.

ووالله الذي لا إلهَ غيرُه لن تصلُحَ أمَّتُنا إلا بالتوحيد الصحيح، وقوَّة المعرفة بالله تعالى والتعلُّق به، وما انتكسَ المُنتكسُون وتنكَّبُوا طريقَ الهُدى، وارتدُّوا على أدبارهم إلا بسَبب ضعف المعرفة بالله، وهشاشة العلاقة به -سبحانه-، مما كان سببًا لتزلزُل القلوب، وتغيُّر المبادئ، وانسلاخ اليقين من القلوب لأول عارض، ولبارق طمَع، ولشوب غرض ومصلحة.

أمة الإسلام: إن تحقيقَ المعرفة بالله، وقوَّة التعلُّق به -سبحانه-، وامتلاءَ القلوب بجلاله وعظمَته هو ينبُوعُ التوحيد الصحيح ومادَّتُه الكُبرَى.

فلا إله إلا الله! ما أعظمَ الله! ولا إله إلا الله! ما أجَلَّ الله! له -سبحانه- الكمالُ والجلالُ والجمالُ المُطلَقُ في أسمائه وصفاته وأفعاله، واحدٌ أحدٌ، مُدبِّرٌ حكيمٌ، وربٌّ قديرٌ، لا شيءَ يعدلُه، ولا شيءَ يُشبهُه، وليس كمثله شيءٌ، ولا يَؤُودُه شيءٌ، ولا يتعاظَمُه شيءٌ، وكلُّ شيءٍ عليه هيِّنٌ ويسيرٌ، لا تبلغُه الأوهام، ولا تُدركُه الأبصارُ والأفهامُ، حيٌّ لا يمُوتُ، قيُّومٌ لا ينَامُ، يُمسكُ السماوات والأرضَ أن تَزُولا، خلَقَ الخلقَ كلَّهم بلا حاجة إليهم، ورزَقَهم كلَّهم بلا كُلفة ولا مشقَّة، ثم يُميتُهم ولا يُعجزونَه، ثم يبعثُهم ويُحاسبُهم كلَّهم وهو أهوَنُ عليه.

هو الملكُ -سبحانه- يُؤتي مُلكَه مَن يشاءُ بفضله، ويَنزعُه ممَّن يشاءُ بعَدله، ذلَّت له الرِّقابُ، وسجَدَت لعَظَمته الجِباهُ، وانكسَرَت لقُوَّته الجبابرةُ والطُّغاةُ، يُمهلُ الظالمين، ويمُدُّهم في طُغيانهم يَعمَهُون، حتى إذا بغَوا وأسرَفُوا أخذَهم أخذَةَ أسَفٍ لا تُبقي منهم ولا تَذَر، (إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) (هود: ١٠٢).

كلَّ يوم هو شأن، ومراسيمُ قضائه وقدَره نافذةٌ نازلةٌ، لا رادَّ لقضائه، ولا مُعقِّبَ لحكمه، ولا غالبَ لأمره، قائمٌ على كلِّ نفس بما كسَبَت، وقائمٌ على هذا الكون بأسره، يحفَظُه ويُدبِّرُه ويُصرِّفُه بعلمه وقُدرته وحكمته.

هو الجبَّارُ -سبحانه-، المنَّانُ اللَّطيفُ الرَّحمنُ، جبَرَ قلوبَ أوليائه، ومَنَّ على الذين استُضعِفُوا في الأرض ومكَّنَ لهم، والله لَطيفٌ بعباده؛ فكم من شدَّة فرَّجَها الله؟! وكم من نازلة كان لها الله؟! وكَم من كُربات وأهوالٍ درأَ شرَّها الله ذو العزَّة والجبَرُوت والمَلَكُوت؟!

صغُرَ دُون جلاله كلُّ كبير، وذَلَّ مع كبريائه كلُّ عزيز، وتهاوَى أمامَ عظمَته كل عظيم، يسمَعُ دَبيبَ النَّملة السَّوداء على الصَّخرة الصَّمَّاء، ويرَى مَدَّ البَعُوض جَناحَها في ظُلمة الليل البَهيم الأليَل، لا تَشغلُه أصواتُ الدَّاعين، ولا تُعجزُه حاجاتُ السَّائلين على تفنُّن مطالبهم، واختلاف ألسِنَتهم، يعلَمُ ما يُسرُّون وما يُعلِنُون في كل الأحوال، وحين يستَغشُون ثيابَهم، إنه عليمٌ بذات الصُّدور.

هو الله القادرُ القديرُ المُقتَدر، الخافضُ الرافعُ، المُعطي المانعُ، لا ينفَعُ مع منعه سعيٌ وبَذلُ مجهُود، فكَم من مُجتَهد حريص لكنَّه محرُومٌ؟! ولا يمنَعُ مع إعطائه عَجزُ عاجز، ولا مَنعُ مانع، فكَم من عاجز ضعيف لكنَّه مرزُوقٌ وافرُ المقسُوم.

هو الله الرحمنُ الرحيم، ذو الرَّحمة الشاملة العامَّة لكلِّ مخلُوقاته، وذو الرَّحمة الخاصَّة لأوليائه وأحبابه، يفتَحُها عليهم ولا مُمسكَ لها، فتَطيبُ حياتُهم، وتحلُو معها مرارةُ الأقدار، وتتنعَّمُ بها أرواحُهم التي مسَّها تعَبُ الحياة ووهَجُها.

ألا إنه هو الله الذي لا إله إلا هو المُستحقُّ للثَّناء والحَمد والمَدح، لا نُحصي ثناءَ عليه.

أيها المسلمون: لا شيءَ أحلى من الحديث عن الله، ولا خطابَ أشهَى من أن يكونَ في مدحَة الله؛ فهو الذي يَشفي النفوسَ ويُسعدُها، ويُذهبُ حُزنَها وخوفَها.

فيا لله! كَم ضاعَت منَّا الأعمارُ في بُنَيَّات الطريق؟! وكَم ذهَبَت منَّا الساعاتُ في لَهو وقيلٍ وقالٍ؟! ويا لله! ما أشدَّ غفلَتَنا عن ذكر ربِّنا ومعرفته؟! وما أعظمَ حسرتَنا على نقص حظِّنا من الأُنس به والعيش معَه -سبحانه-؟!

وما سبَقَنا السابِقُون المُقرَّبُون الأبرارُ بكَثرة صيام ولا صلاة ولا صدَقة، ولكنَّه بشيءٍ وقَرَ في قلوبهم، ورسَخَ في نفوسهم، هو قُوَّةُ المعرفة، قُوَّةُ معرفتهم بربِّهم -سبحانه-، وشدَّةُ تعلُّقهم به، وحُبِّهم له، فذاقُوا أطيَبَ وأحلَى وأشهَى ما في هذه الدنيا، حتى إن القلبَ ليهتَزُّ فرَحًا بهذا النَّعيم، (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة: ٢١).

أيها المُسلمون: معرفةُ الله نوعَان: معرفةُ إقرار واعتراف فحسب، وهذا اشتَرَكَ فيها النَّاسُ كلُّهم حتى المُشركُون، لكنَّها لم تنفعهم في النجاة والفلاح؛ لأنها معرفةٌ باردةٌ هامدةٌ، لم تُثمر لهم التوحيدَ، ولم تُحرِّك قلوبَهم إلى الله تعالى حُبًّا وإخلاصًا.

والنوعُ الثاني: هي معرفةٌ خاصَّةٌ زائدةٌ على مُجرَّد الإقرارِ بامتلاءِ القلبِ بتعظيمِ اللهِ وإجلالِه، الذي يستلزمُ إفرادَ اللهِ بالتوحيدِ والعبادةِ والمحبَّةِ والخشيةِ والتوكُّلِ.

فيشعُرُ العبدُ بالقُربِ من فاطرِه ومولاه، فلا يخشَ إلا اللهَ، ولا يخافُ إلا ربَّه، ولا يرجُو إلا اللهَ، ولا يتذلَّلُ إلا لمالكِ أمرِه، وليس له همٌّ ولا شُغلٌ إلا في رضا ربِّه-سبحانه-، فتصفُو له الحياةُ، ويَطيبُ له العيشُ، ولا يأسَفُ على فائتٍ، ولا يفرَحُ بآتٍ، ولا تُزعجُه الأحداثُ، ولا تُقلقُه الكُروبُ، ولا يستخِفَّنَّه الذين لا يُوقنُون.

قال ابنُ رجب - رحمه الله-: «أفضلُ العلم العلمُ باللهِ، وهو العلمُ بأسمائه وصفاته وأفعالهِ التي تُوجِبُ لصاحبِها معرفةَ اللهِ وخشيتَه ومحبَّتَه، وهيبتَه وإجلالَه، وعظمَتَه، والتبتُّلَ إليه، والتوكلَ عليه، والرِّضا عنه، والانشغالَ به دُون خلقِه».

عباد الله: إن أعظمَ ما يُعينُ العبدَ على تحقيقِ المعرفةِ باللهِ، وقُوَّةِ التعلُّقِ به، ورُسُوخِ الإيمانِ واليقينِ أمورٌ ثلاثةٌ، أجمعَ العُلماءُ باللهِ على عظيمِ أثَرِها على القلوبِ لمَن حرصَ عليها وداوَمَ واستمَرَّ؛ حتى يُفتَحَ له البابُ، فيجتَبِيه ربُّه ويصطَفِيه.

أولُ هذه الأمور-يا عباد الله-: دوامُ النَّظرِ والتدبُّرِ والتفكُّرِ في آياتِ اللهِ المتلُوَّةِ المسموعةِ آياتِ القرآنِ العظيمِ، فهي من أجلِ أسبابِ حُصولِ الإيمانِ واليَقينِ والمعرفةِ، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (ص: ٢٩).

والمُفيدُ النَّافعُ هو إحضارُ القلبِ حين تلاوةِ القرآنِ على مُكثٍ وترتيلٍ، وتدبُّرُ الآياتِ والتفكُّرُ في معانيها، وحُسنُ الفهمِ لمقاصدِها ودلالاتِها، فهذا أنفعُ ما يكونُ للقلوبِ والأرواحِ.

والأمرُ الثاني-يا عباد الله-: دوامُ النَّظرِ والتأمُّلِ والتفكُّرِ في آياتِ اللهِ الكونيَّةِ المُشاهَدَةِ في ملَكُوتِ السماواتِ والأرضِ، وبَديعِ خَلقِ اللهِ في الأنفُسِ والآفاقِ؛ فإن ذلك يُورِثُ للعبدِ اليقينَ، وقُوَّةَ الإيمانِ والمعرفةِ بالربِّ-سبحانه-.

وقد سلَكَ هذا الطريقَ أنبياءُ اللهِ ورُسُلُه، والصالِحُون من عبادِه، كما قصَّ علينا-سبحانه- طريقةَ إبراهيم - عليه وعلى نبيِّنا أفضلُ الصلاة والسلام - في نظرِه وتأمُّلِه في آياتِ اللهِ الكَونيَّةِ، واستدلالِه بذلك على توحيدِ اللهِ، واستحقاقِه للعبادةِ، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ (الأنعام: ٧٥).

ثم قال إبراهيمُ - عليه السلام - بعد ذلك: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ (الأنعام: ٧٩).

والأمرُ الثالثُ-يا عباد الله-: دوامُ ذكرِ اللهِ بالتسبيحِ والتهليلِ والتكبيرِ والتحميدِ والاستغفارِ في كلِّ الأوقاتِ؛ فإنه الحِصنُ الحَصينُ الذي يحمِي العبدَ من الآفاتِ والشُّرُورِ، ويُثمرُ في القلوبِ محبَّةَ اللهِ، والإنابةَ إليه، والإخلاصَ له-سبحانه-، واستحضارَ قُربِه ومعيَّتِه، ويُثمرُ للعبدِ أيضًا قُوَّةً في بدَنِه وقلبِه وعقلِه، ونشاطًا وحيويَّةً في جوارحِه وعمَلِه، فإن ذكرَ اللهِ حياةُ القلوبِ والأرواحِ والأبدانِ، والذي لا يذكُرُ اللهَ كالميِّتِ، وكالبَيتِ الخَرِبِ.

وقد كان النبيُّ-صلى الله عليه وآله وسلم- لا يفتُرُ لسانُه عن ذكرِ ربِّه، يذكُرُ اللهَ في كلِّ أحيانِه. ولا يَزالُ العبدُ رَطبًا لسانُه بذكرِ ربِّه، فيمُدُّه اللهُ بعَونِه وتأييدِه ونصرِه، والدِّفاعِ عنه؛ فإن اللهَ مع عبدِه إذا ذكَرَه وتحرَّكَت به شَفَتاه، ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ (هود: ٥٢).

وقد جمَعَ اللهُ - سبحانه وتعالى - هذه الأمورَ التي تحصُلُ به قُوَّةُ المعرفةِ به، ورسُوخُ اليقينِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩٠، ١٩١).

اللهم أصلِح أحوالَ المُسلمين في كلِّ مكانٍ، اللهم أصلِح أحوالَ المُسلمين في كلِّ مكانٍ، اللهمَّ أصلح أحوالَهم في فلسطين، والشام، وفي العِراق، واليَمَن، وفي كل مكانٍ يا رب العالمين.

في بيان ما يجب اعتقاده في الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وصحابته

وجوب محبة الرسول وتعظيمه، والنهي عن الغلو والإطراء في مدحه

الحلقة الرابعة عشرة

إعداد د. صالح الفوزان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

نتحدث في هذا العدد عن وجوب محبته وتعظيمه صلى الله عليه وسلم، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

يجبُ على العبد أولاً: محبّةُ الله عز وجل، وهي من أعظم أنواع العبادة، قال تعالى: « وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ » (البقرة: ١٦٥).

لأنه هو الرّبُّ المتفضّل على عباده بجميع النّعم ظاهرها وباطنها، ثم بعد محبة الله تعالى، تجب محبة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم؛ لأنه هو الذي دعا إلى الله، وعرَّف به، وبلَّغ شريعته، وبيّن أحكامه، فما حصل للمؤمنين من خير في الدنيا والآخرة، فعلى يد هذا الرسول، ولا يدخلُ أحدٌ الجنة إلا بطاعته واتباعه صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث: (ثلاثٌ من كُنَّ فيه وجد حلاوةَ الإيمان؛ أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحبَّ المرء لا يُحبّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار) (متفق عليه).

فمحبة الرسول تابعة لمحبة الله تعالى، لازمة لها، وتليها في المرتبة، وقد جاء بخصوص محبته صلى الله عليه وسلم ووجوب تقديمها على محبة كل محبوب سوى الله تعالى، قوله صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمنُ أحدكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) (متفق عليه).

بل ورد أنه يجب على المؤمن أن يكون الرسولُ صلى الله عليه وسلم أحبَّ إليه من نفسه، كما في الحديث: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله، لأنتَ أحبُّ إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال: (والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك)، فقال له عمر: فإنك الآن أحب إليَّ من نفسي، فقال: (الآن يا عمر) (رواه البخاري).

ففي هذا أن محبة الرسول واجبة ومقدّمةٌ على محبّة كل شيء سوى محبة الله، فإنها تابعة لها لازمة لها؛ لأنها محبة في الله ولأجله، تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن، وتنقص بنقصها، وكل من كان محبًا لله؛ فإنما يحب في الله ولأجله.

ومحبّته صلى الله عليه وسلم تقتضي تعظيمه وتوقيره واتباعه، وتقديم قوله على قول كل أحد من الخلق، وتعظيم سنته.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: (وكلُّ محبة وتعظيم للبشر؛ فإنما تجوز تبعًا لمحبة الله وتعظيمه، كمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، فإنها من تمام محبة مرسله سبحانه وتعالى وتعظيمه، فإن أمته

يحبونه لمحبة الله له، ويعظمونه ويجلونه لإجلال الله له، فهي محبة لله من موجبات محبة الله.

والمقصود: أن النبي صلى الله عليه وسلم ألقى الله عليه من المهابة والمحبة (... ولهذا لم يكن بشر أحب إلى بشر، ولا أهيب وأجلّ في صدره، من رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدور أصحابه- رضي الله عنهم- قال عمرو بن العاص بعد إسلامه: إنه لم يكن شخص أبغضَ إليّ منه. فلما أسلمت، لم يكن شخص أحب إليّ منه، ولا أجلّ في عيني منه، قال: ولو سُئلت أن أصفه لكم لما أطقتُ، لأني لم أكن أملأ عينيَّ منه؛ إجلالاً له.

وقال عروة بن مسعود لقريش: يا قوم، والله لقد وفدت إلى كسرى وقيصر والملوك، فما رأيتُ ملكًا يعظمه أصحابه؛ ما يعظم أصحابُ محمد محمدًا صلى الله عليه وسلم، والله ما يحدُّون النظر إليه تعظيمًا له، وما تنخّم نُخامةً إلا وقعت في كفّ رجل منهم، فيدلك بها وجهَهُ وصدره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه) انتهى.

ثانياً- النهي عن الغلو والإطراء في مدحه:

الغلو: تجاوز الحد، يُقالُ: غَلا غُلُوًّا، إذا تجاوز الحد في القدر، قال تعالى: «لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ» (النساء: ١٧١) أي: لا تجاوزوا الحد.

والإطراء: مجاوزة الحدِّ في المدح، والكذب فيه، والمرادُ بالغُلوِّ في حق النبي صلى الله عليه وسلم: مجاوزة الحد في قدره؛ بأن يُرفع فوق مرتبة العبودية والرسالة، ويُجعلَ له شيء من خصائص الإلهية؛ بأن يُدعى ويُستغاثَ به من دون الله، ويُحلفَ به.

والمراد بالإطراء في حقه صلى الله عليه وسلم: أن يُزادَ في مدحه، فقد نهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله: (لا تُطروني كما أطرتِ النَّصارى ابنَ مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبدُ الله ورسولُه) (متفق عليه)، أي: لا تمدحوني بالباطل، ولا تجاوزوا الحدَّ في مدحي، كما غالت النَّصارى في عيسى- عليه السلام- فادَّعوا فيه الألوهية، وَصفُوني بما وَصَفَني به ربّي، فقولوا: عبدُ الله ورسوله. ولما قال له بعض أصحابه: أنت سيّدُنا، فقال: (السَّيّدُ الله تبارك وتعالى)، ولما قالوا: أفضلنا وأعظمنا طَولاً، فقال: (قولوا بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجرينكم الشيطان) (رواه أبو داود بسند جيد).

وقال له ناس: يا رسولَ الله، يا خيرَنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، فقال: (يا أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمدٌ عبدُ الله ورسولُه، ما أحبُّ أن ترفعوني فوقَ منزلتي التي أنزلني الله عزّ وجلّ) (رواه أحمد والنسائي).

كره صلى الله عليه وسلم أن يمدحوه بهذه الألفاظ: أنت سيدنا- أنت خيرُنا- أنت أفضلُنا- أنت أعظمُنا، مع أنه أفضلُ الخلق وأشرفُهم على الإطلاق؛ لكنه نهاهم عن ذلك، ابتعادًا بهم عن الغُلُوِّ والإطراء في حقه، وحمايةً للتوحيد، وأرشدهم أن يصفون بصفتين؛ هما أعلى مراتب العبد، وليس فيهما غلو ولا خطر على العقيدة، وهما: عبد الله ورسوله، ولم يُحب أن يرفعوه فوق ما أنزله الله عز وجل من المنزلة التي رضيها له، وقد خالف نهيَه صلى الله عليه وسلم كثيرٌ من الناس فصاروا يدعونه، ويستغيثون به، ويحلفونَ به، ويطلبون منه ما لا يُطلب إلا من الله، كما يُفعلُ في الموالد والقصائد والأناشيد، ولا يُميزون بين حق الله وحق الرسول.

يقول العلامةُ ابن القيم في النونية:

لله حق لا يكون لغيره
ولعبده حق هما حقان
لا تجعلوا الحقين حقًا واحدًا
من غير تمييز ولا فرقان

ثالثاً- بيان منزلته صلى الله عليه وسلم

لا بأس ببيان منزلته بمدحه صلى الله عليه وسلم بما مدحه الله به، وذكر منزلته التي فضله الله بها واعتقاد ذلك، فله صلى الله عليه وسلم المنزلة العالية التي أنزله الله فيها، فهو عبد الله ورسوله، وخيرته من خلقه، وأفضل الخلق على الإطلاق، وهو رسول الله إلى الناس كافة، وإلى جميع الثقلين الجن والإنس، وهو أفضل الرسل، وخاتم النبيين، لا نبيَّ بعده، قد شرح الله له صدره، ورفع له ذكره، وجعل الذِّلَّة والصَّغار على من خالف أمره، وهو صاحب المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه: « عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا » (الإسراء: ٧٩).

أي: المقام الذي يُقيمه الله فيه للشفاعة للناس يوم القيامة؛ ليريحهم ربهم من شدة الموقف، وهو مقام خاص به صلى الله عليه وسلم دونَ غيره من النبيين.

وهو أخشى الخلق لله، وأتقاهم له، وقد نهى الله عن رفع الصوت بحضرته صلى الله عليه وسلم، وأثنى على الذين يَغُضُّونَ أصواتهم عنده، فقال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ » (الحجرات: ٢-٥).

قال الإمام ابن كثير- رحمه الله-: (هذه آيات أدّب الله فيها عباده المؤمنين فيما يعاملون به النبي صلى الله عليه وسلم من التوقير والاحترام، والتبجيل والإعظام... أن لا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فوق صوته).

ونهى سبحانه وتعالى أن يُدعى الرسول باسمه كما يُدعى سائرُ الناس، فيقال: يا محمد، وإنما يُدعى بالرسالة والنبوة فيقال: يا رسول الله، يا نبي الله، قال تعالى: « لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ » (النور: ٦٣).

كما أن الله سبحانه يناديه بـ يا أيها النبي، يا أيها الرسول. وقد صلى الله وملائكته عليه، وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه، فقال تعالى: « إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا » (الأحزاب: ٥٦).

لكن لا يُخصص لمدحه صلى الله عليه وسلم وقتٌ ولا كيفية معينة إلا بدليلٍ صحيح من الكتاب والسُّنَّة، فما يفعله أصحابُ الموالد من تخصيص اليوم الذي يزعمون أنه يوم مولده لمدحه: بدعة منكرة.

ومن تعظيمه صلى الله عليه وسلم: تعظيم سنته، واعتقاد وجوب العمل بها، وأنها في المنزلة الثانية بعد القرآن الكريم في وجوب التعظيم والعمل؛ لأنها وحي من الله تعالى، كما قال تعالى: « وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ » (النجم: ٣، ٤).

فلا يجوز التشكيك فيها، والتقليل من شأنها، أو الكلام فيها بتصحيح أو تضعيف لطرقها وأسانيدها أو شرح لمعانيها إلا بعلم وتحفُّظ، وقد كثر في هذا الزمان تطاول الجهَّالُ على سُنَّة الرسول صلى الله عليه وسلم خصوصًا من بعض الشباب الناشئين الجهال الذين لا يزالون في المراحل الأولى من التعليم، صاروا يصحِّحون ويُضعِّفون في الأحاديث، ويجرحون في الرواة بغير علم سوى قراءة الكتب، وهذا خطرٌ عظيم عليهم وعلى الأمة، فيجب عليهم أن يتقوا الله، ويقفوا عند حدهم.

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

الحلقة الثانية

عنايةُ السَّلف بحراسَة الجوارِح

الحَمْدُ لِلَّه الَّذي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِه الْكِتَابَ، وَجَعَلَهُ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ، وَأَمَرَنَا بِالاعْتِصَامِ بِهِ إِذْ هُوَ حَبْلُهُ الَّذِي هُوَ أَثْبَتُ الأَسْبَابِ، وَهَدَانَا بِهِ إِلَى سُبُلِ الْهُدَى وَمَنَاهِجِ الصَّوَابِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ رَبُّ الأَرْبَابِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ وَالْحِكْمَةِ وَفَصْلِ الْخِطَابِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ صَلاةً دَائِمَةً بَاقِيَةً بَعْدُ إِلَى يَوْمِ الْمَرْجِعِ وَالْمَآبِ، وبعد:

إعداد د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

ثُغُور ابن آدم:

فإن الثغور التي نقوم على حراستها هي جوارح العبد التي يتربص بها الشيطان ويقف على مداخلها ومخارجها؛ كما جاء في حديث أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أُرَاهُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلاثًا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ» رواه البخاري (٣٢٩٥) ومسلم (٢٣٨).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ايضا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ» رواه البخاري (١١٤٢) ومسلم (٧٧٦).

فهي مواضع مخوفة يدخل الشيطان منها ويتسلل إليها لواذًا وهو فقيهُ الشرِّ وخرِّيتُ دُروبه وهذه الثغور هي (اللسان، العين، الأذن، واليد، والرجل).

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَشْبَهَ بِاللَّمَمِ مِمَّا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ، فَزِنَا العَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ المَنْطِقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ وَيُكَذِّبُهُ» رواه البخاري (٦٢٤٣) ومسلم (٢٦٥٧).

وهذه الجوارح يحتاج المرء إلى أن يدفعها إلى الخير ويُزْجيها، ويُعلِّلها لبلوغ الأرب منها ويرتجيها، ولا يكون ذلك إلا بإصلاح خلائقها ونَفْي بوائقها مستصْحبًا جميلَ الأوصاف والألطاف،

مُشتملاً بالنَّزاهة والكَفاف، متلفِّعًا بالقَنَاعة والعَفَاف، فلعلَّه بعد ذلك يَظفر بالغَنيمة في الذهاب والإيَاب خلْوًا من اللَّوْم والخَطأ والعتَّاب، وبهذا يكون قد فاز بضالَّته المنشودَة وبُغيته المفقودَة. كما أنها تحتاج إلى دفْعها عن الشرِّ دفْعًا، ودعُّها عنه دَعًّا لئلا تكونَ ناكبةً عن الرُّشْد سالكةً غيرَ القصْد فيشْكو صاحبُها الداءَ القديمَ والمرضَ العقيمَ.

فقفْ أيها الكريم على ثُغورك وكنْ من الثابتَين عَليها ممن لا يَتَبَدَّل به حالٌ ولا يعتَريه اختلالٌ واحذرْ أن تتلوَّن مع الأيام أو تتَغيَّر أو تلْوي عن الحراسَة وتَتَنكَّر لئلاَ تَنْدَم ولاتَ مندم.

عنايةُ السَّلف بهذه الحراسة:

لقد كان سلفنا الصالح يعتنون بحراسة الجوارح أيما عناية حتى بلغوا قرارةَ المجد ونهايةَ العلاء في أمر الدُّنيا والدِّين بل وحرس الله مجدَهم وأهلك ندَّهم وهزمَ ضدَّهم، وكان ذلك بسبب الحراسة الجادة الجامعة للمحاسبة والمراقبة والمتابعة التي زمُّوا بها نفوسَهم، وجعلوها في أعناقها كالأغلالِ والسلاسلِ، ولما كانوا أكثر النَّاس مراعاة لهذا الباب، وأعظمهم تجربة فيه وممارسة له-وإنما تنفع التجاربُ من كان عاقلاً ذا بصيرة- لم يخامرْهم عند الموت جزعٌ، ولم يَشُبْ حالَهم عند لقاء الله تعالى روعُ السكرات ولا الفَزَع، بل كان علمُهم بأحوال النُّفوس فياضٌ، وثوبُ علْمهم بها فضفاضٌ، وأما حالهم فهي تُطلق لسان العَييِّ وتَفتق ذهنَ البليد، وهذا أمرٌ لا يُنكره إلا أكْمَه، ولا يجحَدُه إلا أبْلَه، لأجل هذا لا يمل المرء من الحديث عنهم والإشادة بهم عسى أن يكون ذلك داعيًا إلى الاقتداء بهم ومرغبا في الائتساء للراغب في الجري في مضمارهم والمعتني بآثارهم.

> كان سلفنا الصالح يعتنون بحراسة الجوارح أيما عناية حتى بلغوا قرارةَ المجد ونهايةَ العلاء في أمر الدُّنيا والدِّين.

واعلم أن كلامنا ليس للإزراء بزماننا ولا للطعن في أهلنا أو التنقيص من إخواننا، وإنما توصيف الحال جزء من الدواء، والمودة تقتضي إخلاص النصيحة، والمحبة تستوجب الصدق فيها وإنما كان تقديم اعتذاري ضرورة لكثرة الظنون.

نماذج الحراسة:

كان السلف يحرسون جوارحهم ويحمونها جيدًا وهذه صور تقيم الحجة علينا بل فيها تقريع لمن قرأها ولم يعتبر وطالعها ولم ينزجر لأن أحوال السلف من أبلغ العظات ففيها طبٌّ لمن كان سقيمَ القلب، وتقويةٌ لمن كانَ ضعيفَ الإيمان موصوفا بالنقص والثَّلْب ؛لكنها تحتاج إلى قلبٍ محبٍّ منيب، ونفسٍ مقبلة راغبة كرغبةِ المحبِّ في الحبيب، فمن قرأهَا وهو كذلك كان والجًا حدائقَ الرُّشد من كل باب، ضاربًا في أفانين الآداب، بخلاف زماننا الذي من التَمَس الخير في أهله أعضل، وإن سلك له مسلكًا مع أهله أعوز وأشكل؛ إذ هم ما بين مقدام غير أنه متعنت ومهجام إلا أنه متبكِّت، وبين مِسقَام متأخِر وعاجزٍ كسِلٍ مفتِّر؛ فأوجز

ولا تضيع نَصَبَك سُدًى ولا تُذْهب تعبَك عبثًا فعَنْ أبي حَفْص النيسابوري، قَالَ: حَرَسْتُ قَلْبي عِشْرِيْنَ سَنَةً، ثُمَّ حَرَسني عِشْرِيْنَ سَنَةً، ثُمَّ وَردتْ عَلَيَّ وَعَلَيْه حَالَةٌ صرنَا محروسَيْن جَمِيْعاً. (السير: ١٢/٥١١).

عَن المُنْكَدر بن مُحَمَّد، عَنْ أَبِيْه: أَنَّ تَمِيْماً الدَّارِيَّ نَامَ لَيْلَةً لَمْ يَقُمْ يَتَهَجَّدُ، فَقَامَ سَنَةً لَمْ يَنَمْ فِيْهَا عُقُوْبَةً لِلَّذِي صَنَعَ. (السير: ٢/٤٤٥).

وعَنْ مَيْمُوْن بن مِهْرَانَ، قَالَ: لاَ يَكُوْنُ الرَّجُلُ تَقِيّاً حَتَّى يَكُوْنَ لنَفْسه أَشَدَّ مُحَاسَبَةً مِنَ الشَّرِيْك لشَرِيْكه، وَحَتَّى يَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ وَمَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ. (السير: ٥/٧٤).

وهذا حَاتمٌ الأَصَمُّ الزَّاهِدُ، القُدْوَةُ، الرَّبَّانِي قِيْلَ لَهُ: عَلَى مَا بَنَيتَ أَمرَكَ فِي التَّوَكُّلِ؟ قَالَ: عَلَى خصَالٍ أَرْبَعَة: علمتُ أَنَّ رِزْقِي لاَ يَأْكُلُهُ غَيْرِي، فَاطْمَأَنَّتْ به نَفْسِي، وَعَلمتُ أن عَمَلِي لاَ يَعْمَلُهُ غَيْرِي، فَأَنَا مَشْغُوْلٌ به، وَعَلمتُ أَنَّ المَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً، فَأَنَا أُبَادرُهُ، وَعَلمتُ أَنِّي لاَ أَخْلُو مِنْ عَيْنِ الله، فَأَنَا مُسْتَحٍ منْهُ. وَعَنْهُ قَالَ: مَنْ أَصْبَحَ مُسْتَقِيْماً فِي أَرْبَعٍ، فَهُوَ بِخَيْرٍ: التَّفَقُّه، ثُمَّ التَّوَكُّل، ثُمَّ الإِخْلاَص، ثُمَّ المَعْرِفَةُ. وَعَنْهُ قَالَ: تَعَاهَدْ نَفْسَكَ فِي ثَلاَثٍ: إِذَا عَلمتَ، فَاذكُرْ نَظَرَ الله إِلَيْكَ، وَإِذَا تَكَلَّمتَ، فَاذكُرْ سَمْعَ الله منْكَ، وَإِذَا سَكَتَّ، فَاذكُرْ علْمَ الله فِيْكَ. (السير: ١١/٤٨٥).

وَحَكَى أَبُو صَالح مُفْلحٌ الزَّاهد، العَابد: أَنَّهُ رَأَى فِي جبل اللُّكَّام فَقيْراً عَلَيْه مُرَقَّعَةٌ، فَقَالَ: مَا تصنعُ هُنَا؟ قَالَ: أنظر وَأرعَى قُلْتُ: مَا أَرَى بَيْنَ يَديك شَيْئاً؟ قَالَ: فتغيَّر، وَقَالَ: أَنظرُ خواطرِي، وَأرعَى أَوَامر رَبِّي. (السير: ١٥/٨٤).

وقَالَ ابْنُ طَاهر: لَمَّا عزم سَعْدٌ عَلَى المجَاورَة، عزمَ عَلَى نَيِّفٍ وَعِشْرِيْنَ عزيمَةً، أَنْ يُلزمهَا نَفْسَه منَ المُجَاهدَات وَالعبَادَات، فَبَقِي بِه أَرْبَعِيْنَ سَنَةً لَمْ يُخلَّ بعزيمَة منْهَا. وَكَانَ يُمْلي بِمَكَّةَ فِي بَيْته- يَعْنِي: خَوفاً منْ دَوْلَة العُبَيْدِيَّة- (السير: ١٨/٣٨٧).

> لاَ يَكُوْنُ الرَّجُلُ تَقِيّاً حَتَّى يَكُوْنَ لنَفْسه أَشَدَّ مُحَاسَبَةً مِنَ الشَّرِيْك لشَرِيْكه، وَحَتَّى يَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ وَمَطْعَمُهُ وَمَشْرَبُهُ.

وإذا أردت أن تعلم أن الصواب يوافق ما قلتُه، وأنه مكيلٌ بالصاع الذي كلتُه؛ فانظُر في حال كل من سار مسير السلف جادًا لا لاعبًا، ومجتهدًا بغير فتور ولا إعياء ولا لاغبًا، وأفسِح قلبَك لهذه المناقب العظيمة، واشرحْ صدرَك لتلك الأحوال الكريمة التي غفَل عنها وتناساها الأكثرون، عسى أن تشفي من ظمأ قلبك غليلاً، وتتبوأ بذلك في الجنة ظلًّا ظليلاً، وسرْ على درب هؤلاء تخلص من بلايا الزمان نجيًا، وترتقِ في الدرجات مكانًا عليًا، ودَعْكَ ممن يخلِّط ويخْلط، ويتعثَّر في عشواء الجهالة ويخبط؛ فإنهم يُفترون الهمة ويُضعفون المُنَّة فمن تبع هؤلاء صار ضُحكةً للبطالين وهُزأةً للساخرين ثم يكون في الآخرة مع الهالكين نعوذ بالله من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

دعوة المكروب مُجابَةٌ

قال تعالى: أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ " (النمل: ٦٢).

من دعائه ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم كان يتعوّذ من سوء القضاء، ومن درك الشّقاء، ومن شماتة الأعداء، ومن جهد البلاء. (رواه البخاري).

من أقوال السلف

عن الحسن البصري في قوله: «وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» قال: الكتاب: القرآن. والحكمة: السنة. (أصول الاعتقاد للالكائي)

من معاني الأحاديث

(غمس) فيه «اليمين الغموس تذر الديار بلاقع» هي اليمين الكاذبة الفاجرة كالتي يقتطع بها الحالف مال غيره. سميت غموسًا؛ لأنها تغمس صاحبها في الإثم، ثم في النار. (النهاية لابن الأثير)

حكم ومواعظ

عن جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يقول: "إن البدن إذا سقم لا ينفع فيه طعام ولا شراب، ولا نوم ولا راحة. وكذلك القلب إذا علق فيه حب الدنيا لم ينفع فيه المواعظ". (صفة الصفوة).

إعداد : علاء خضر

خلق حسن فالزمه

قال أبو جعفر بن صهبان: "كان يقال: أوّل المودّة طلاقة الوجه، والثّانية التّودّد، والثّالثة قضاء حوائج النّاس". (الإخوان لابن أبي الدنيا)

من هدي رسول الله ﷺ

بركة العلماء وشؤم الجهال

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: "إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتّى إذا لم يُبقِ عالمًا اتّخذ النّاس رؤوسًا جهّالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا". (رواه البخاري).

من دلائل النبوة

قتال الملائكة مع النبي ﷺ في غزواته

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أُحُد رجلين عليهما ثياب بيض يقاتلان كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد؛ يعني جبريل وميكائيل". (متفق عليه)

خُلق سيئ فاحذره

قال خالد بن برمك: "من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق أن لا ينزل به كبير مكروه: العجلة، واللّجاجة، والعجب، والتّواني". (مجمع الأمثال للميداني)

من فضائل الصحابة

عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اقتدوا باللذين من بعدي؛ أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود فاقبلوه". (صحيح الجامع ح١١٤٣)

دراسات شرعية

أثر السياق في فهم النص

تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية

الحلقة (٩٥)

حجاب المرأة المسلمة (٥)

إعداد/ د/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

تكلمنا في الحلقات السابقة عن آيات الحجاب حسب ترتيبها في المصحف، فذكرنا الآيات ٣١، ٦٠ من سورة النور، والآيات ٣٢،٣٣ من سورة الأحزاب.

ثم بدأنا في قوله تعالى: «وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا» (الأحزاب: ٥٣) فذكرنا تفسير مقاتل بن سليمان للآية، وبدأنا في تفسير الطبري، ونستكمل البحث بإذن الله تعالى.

يقول الطبري: "وإذا سألتم أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونساء المؤمنين اللواتي لسن لكم بأزواج، متاعًا (فاسألوهن من وراء حجاب) يقول من وراء ستر بينكم وبينهن، ولا تدخلوا عليهن بيوتهن (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن)؛ يقول تعالى ذكره: سؤالكم إياهن المتاع إذا سألتموهن ذلك من وراء حجاب أطهر لقلوبكم وقلوبهن من عوارض العين فيها التي تعرض في صدور الرجال من أمر النساء، وفي صدور النساء من أمر الرجال، وأحرى من أن يكون للشيطان عليكم وعليهن سبيل". (تفسير الطبري ٢٠/٣١٣-٣١٤).

- تفسير الماتريدي (ت ٣٣٣هـ): وقد فرَّق الماتريدي بين طهارة قلوب الرجال المخاطبين في الآية، وطهارة قلوب أمهات المؤمنين، فحملهما على معنيين مختلفين، فقال: عن قوله تعالى: «وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن»، جائز أن يكون المعنى الذي يكون أطهر لقلوب الرجال. غير المعنى الذي يكون أطهر لقلوبهن (أمهات المؤمنين)؛ ذلك المعنى الذي يكون أطهر لقلوبهم: من الفجور والهمّ لقضاء الشهوة، وما تدعوه النفس إليه (أطهر لقلوبكم وقلوبهن) من العداوة والضغينة، لا الفجور وقضاء الشهوة، وذلك أنهن قد عرفن أنهن لا يَحِلَّنَّ لغيره نكاحًا لما اخترنه من الله ورسوله والدار الآخرة على الدنيا وزينتها، وقد أوعدن بارتكاب الفاحشة العذاب ضعفين، على ما ذكر، وذلك يمنعهن ويزجرهن عن ارتكاب ذلك، فإذا كان ذلك فإذا عرض من الداخلين عليهن والناظرين إليهن نظر الشهوة وقع في قلوبهن لهم العداوة والضغينة. فيقول: السؤال من وراء حجاب أطهر لقلوبكم من الفجور والريبة، وأطهر لقلوبهن من العداوة والضغينة، والله أعلم. (تفسير الماتريدي ٨/٤٠٧).

- تفسير البغوي (ت ٥١٠ هـ): (وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب): أي: من وراء

ستر، فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم منتقبة كانت أو غير منتقبة، ثم ذكر بإسناده إلى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع، وهو صعيد أفيح، وكان عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم: احجب نساءك، فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة فناداها عمر، ألا قد عرفناك يا سودة - حرصًا على أن ينزل الحجاب- فأنزل الله تعالى آية الحجاب. (المناصع: موضع ناحية البقيع كانوا يأتونه لقضاء حاجتهم،؛ صعيد أفيح: الصعيد: وجه الأرض، أفيح: واسع، صحيح البخاري ح ١٤٦، تفسير البغوي ٦/٣٧٠).

- تفسير القرطبي (ت ٦٧١هـ): في هذه الآية دليل على أن الله تعالى أذن في مسألتهن من وراء حجاب في حاجة تعرض، أو مسألة يستفتين فيها، ويدخل في ذلك: جميع النساء بالمعنى، وبما تضمنته أصول الشريعة من أن المرأة كلها عورة، بدنها وصوتها كما تقدم، فلا يجوز كشف ذلك إلا لحاجة كالشهادة عليها، أو داء يكون ببدنها، أو سؤالها عما يعرض ويتعين عندها. ثم قال: (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) يريد من الخواطر التي تعرض للرجال في أمر النساء وللنساء في أمر الرجال، أي: ذلك أنفى للريبة وأبعد للتهمة وأقوى في الحماية، وهذا يدل على أنه لا ينبغي لأحد أن يثق بنفسه في الخلوة مع مَن لا تحل له، فإن مجانبة ذلك أحسن لحاله وأحصن لنفسه وأتم لعصمته. (انظر تفسير القرطبي ١٤/٢٢٧-٢٢٨).

- تفسير أضواء البيان للشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ): قول كثير من الناس: إن آية (الحجاب)، أعني قوله تعالى: «وإذا سألتموهن متاعًا فاسألوهن من وراء حجاب»، خاصة بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فإن تعليله تعالى لهذا الحكم الذي هو إيجاب الحجاب بكونه أطهر لقلوب الرجال والنساء من الريبة، في قوله تعالى: (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) قرينة واضحة على إرادة تعميم الحكم؛ إذ لم يقل أحد من جميع المسلمين: إن غير أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا حاجة إلى أطهرية قلوبهن وقلوب الرجال من الريبة منهن، وقد تقرر في الأصول أن العلة قد تعمم معلولها، وإليه أشار في مراقي السعود:

وقد تخصص وقد تعمّم

لأصلها لكنها لا تخرم

وبما ذكرنا نعلم أن في هذه الآية الكريمة الدليل الواضح على أن وجوب الحجاب حكم عام في جميع النساء، لا خاص بأزواجه صلى الله عليه وسلم، وإن كان أصل اللفظ خاص بهن؛ إلا أن عموم علته دليل على عموم الحكم فيه، ومسلك العلة الذي دلّ على أن قوله تعالى (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) هو علة قوله تعالى: (فاسألوهن من وراء حجاب) هو المسلك المعروف في الأصول بدلالة الإيماء والتنبيه. (انظر أضواء البيان ٦/٢٤٢-٢٤٤).

وما أجمل ما قاله الطاهر بن عاشور صاحب التحرير والتنوير: "واسم التفضيل في قوله (أطهر) مستعمل للزيادة دون التفضيل، والمعنى: ذلك أقوى طهارة لقلوبكم وقلوبهن فإن قلوب الفريقين طاهرة بالتقوى وتعظيم حرمات الله وحرمة النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن لما كانت التقوى لا تصل بهم إلى درجة العصمة أراد الله أن يزيدهم منها بما يكسب المؤمنين مراتب من الحفظ الإلهي من الخواطر الشيطانية بقطع أضعف أسبابها وما يقرب أمهات المؤمنين من مرتبة العصمة الثابتة لزوجهن صلى الله عليه وسلم، فإن الطيبات للطيبين بقطع الخواطر الشيطانية عنهن بقطع دابرها ولو بالفرض، وأيضًا فإن للناس أوهامًا وظنونًا سوأى تتفاوت مراتب نفوس الناس فيها صرامة ووهنا، ونفاقًا وضعفًا، كما وقع في قضية الإفك المتقدمة في سورة النور، فكان شرع

حجاب أمهات المؤمنين قاطعًا لكل تقوُّل وإرجاف بعمد أو بغير عمد.

ووراء هذه الحكم كلها حكمة أخرى سامية، وهي زيادة تقرير معنى أمومتهن للمؤمنين في قلوب المؤمنين التي هي أمومة جعلية شرعية، بحيث إن ذلك المعنى الجعلي الروحي وهو كونهن أمهات يرتد وينعكس إلى باطن النفس وتتقطع عنه الصور الذاتية، وهي كونهن فلانة أو فلانة فيصبحن غير متصورات إلا بعنوان الأمومة، فلا يزال ذلك المعنى الروحي ينمو في النفوس، ولا تزال الصور الحسية تتضاءل من القوة المدركة حتى يصبح معنى أمهات المؤمنين معنى قريبًا في النفوس من حقائق المجردات كالملائكة، وهذه حكمة من حكم الحجاب الذي سنَّه الناس لملوكهم في القدم؛ ليكون ذلك أدخل لطاعتهم في نفوس الرعية.

وبهذه الآية مع الآية التي تقدمتها من قوله: (يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ) (الأحزاب: ٣٢) تحقق معنى الحجاب لأمهات المؤمنين المركب من ملازمتهن بيوتهن وعدم ظهور شيء من ذواتهن حتى الوجه والكفين، وهو حجاب خاص بهن لا يجب على غيرهن، وكان المسلمون يقتدون بأمهات المؤمنين ورعًا وهم متفاوتون في ذلك على حسب العادات.

ودلَّ قوله: (لقلوبكم وقلوبهن) أن الأمر متوجِّه لرجال الأمة ولنساء النبي صلى الله عليه وسلم على السواء (التحرير والتنوير ٢٢/٩٠-٩٢).

وفي فتح الباري: قال عياض: "فرض الحجاب مما اختصصن به (يعني أزواج النبي صلى الله عليه وسلم)؛ فهو فرض عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين، فلا يجوز لهن كشف ذلك في شهادة ولا غيرها ولا إظهار شخوصهن، وإن كن مستترات إلا ما دعت إليه ضرورة من براز.

قال الحافظ: وليس فيما ذكره دليل على ما ادعاه من فرض ذلك عليهن، وقد كنَّ بعد النبي صلى الله عليه وسلم يحججن ويطفن، وكان الصحابة ومن بعدهم يسمعون منهن الحديث وهن مستترات الأبدان لا الأشخاص (فتح الباري ٨/٥٣٠هـ).

وقال الشوكاني في نيل الأوطار بعد أن ذكر حديث الفضل بن عباس مع الخثعمية وهو عن ابن عباس: أن امرأة من خثعم استفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع (يوم النحر)، والفضل بن عباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم، و(كان الفضل رجلاً وضيئًا)، فوقف النبي صلى الله عليه وسلم للناس يفتيهم،... الحديث.

وفيه "فأخذ الفضل بن عباس يلتفت إليها وكانت امرأة حسناء، (وفي رواية وضيئة): فطفق الفضل ينظر إليها، وأعجبه حسنها، (وتنظر إليه)، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بذقن الفضل فحوَّل وجهه من الشق الآخر.

وروى هذه القصة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذكر أن الاستفتاء كان عند المنحر بعدما رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرة، وزاد: فقال له العباس: يا رسول الله لم لويت عنق ابن عمك؟ قال: رأيت شابًا وشابة فلم آمن الشيطان عليهما. (الحديث أصله في الصحيحين والزيادات انظرها في جلباب المرأة المسلمة للألباني ص٦٠-٦٣).

ونقل الشوكاني عن البعض: "أن هذا الحديث أيضًا يصلح للاستدلال به على اختصاص آية الحجاب السابقة بزوجات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ لأن قصة الفضل في حجة الوداع، وآية الحجاب في نكاح زينب في السنة الخامسة من الهجرة.

ثم رد على من قال: إن ذلك خاصّ بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم (الحجاب)؛ لأنه إنما شُرِعَ قطعًا لذريعة وقوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في بيته، ولا يخفى أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. (انظر نيل الأوطار ٦/١٣٥).

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

أحكام الصلاة

الأشياء التي ورد النهي عنها في الصلاة

إعداد د. حمدي طه

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

سبق لنا ذكر بعض الأشياء التي ورد النهي عنها في الصلاة كالكلام والعمل الكثير في الصلاة، وفي هذا العدد نتناول بعض الأفعال التي ورد النهي عنها أيضًا في الصلاة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

١ - اشتمال الصَّمَّاء:

ورد النهي أن يصلي المسلم وهو يشتمل الصَّمَّاء في الصلاة، فعن أبي سعيد الخدري أنه قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشتمال الصماء، وأن يحتبي الرجل في ثوب واحد ليس على فرجه منه شيء (رواه البخاري).

وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- نهى عن لبستين: الصَّمَّاء، وأن يحتبي الرجل بثوبه ليس على فرجه منه شيء» (رواه البخاري ومسلم).

ومن حديث جابر أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- نهى أن يأكل الرجل بشماله أو يمشي في نعل واحدة، وأن يشتمل الصماء، وأن يحتبي في ثوب واحد كاشفًا عن فرجه. (رواه مسلم).

(واشتمال الصماء) له تفسيران:

التفسير الأول: تفسير اللغويين: أن يتجلل بالثوب الواحد تجللاً يشمل بدنه كله بحيث لا يكون لإخراج اليد موضع، قال الأصمعي هو أن يشتمل بالثوب حتى يجلل به جسده لا يرفع منه جانبًا فلا يُبقي ما يخرج منه يده، وهذا يقوله أكثر أهل اللغة.

وقال ابن قتيبة: سميت صماء لأنه سد المنافذ كلها كالصخرة الصماء التي ليس فيها خرق ولا صدع (شرح صحيح مسلم للنووي).

وعلة النهي هنا أنَّه لا يأمن إذا هجم عليه عدّو أنَّه لا يستطيع أن يدفع بالسلاح، ويقع في ضرر، وهذا لمصلحة الإنسان، واشتمال الصَّمّاء عمومًا سواء في الصلاة أو خارج الصلاة إلاَّ أنَّه في الصلاة أشدّ، فهذا كلّه نص العلماء على أنَّه يصلّي في ثوب واحد لا يشتمل به اشتمال الصَّمّاء. (دروس عمدة الفقه للشنقيطي).

فهذه صفة مكروهة؛ لأنه يترتب عليها فوات شيء كثير من السنن كرفع اليدين، ومن صفة النزول إلى السجود ونحو ذلك.

التفسير الثاني: هو تفسير الفقهاء وهو أن يضطبع بالثوب ليس عليه غيره، ومعنى الاضطباع أن يضع وسط الرداء تحت عاتقه الأيمن وطرفيه على منكبه الأيسر، ويبقى منكبه الأيمن مكشوفًا. وروى حنبل عن أحمد في اشتمال الصماء أن يضطبع الرجل بالثوب ولا إزار عليه، فيبدو شقه وعورته، أما إن كان إزار فتلك لبسة المحرم (المغني لابن قدامة ١/٥٦٨).

وهذا التفسير أصح لوجهين:

الوجه الأول: أن هذا قد وردت به الرواية؛ ففي رواية للبخاري: (والصماء أن يجعل ثوبه على أحد عاتقيه فيبدو أحد شقيه ليس عليه شيء) (البخاري برقم ٥٨٢٠)، قال الحافظ:

"ظاهر سياق البخاري من رواية يونس في اللباس أن التفسير المذكور فيها مرفوع، وهو موافق لما قال الفقهاء، وعلى تقدير أن يكون موقوفًا فهو حجة على الصحيح؛ لأنه تفسير من الراوي لا يخالف ظاهر الخبر" (انظر فتح الباري).

وإن كان ما فسَّره اللغويون صحيحًا من حيث المعنى؛ لكنه ليس تفسيرًا لهذا الحديث؛ كما تقدم من الرواية. (شرح الزاد للحمد ٦٣/٤ بتصرف).

الوجه الثاني: أن الفقهاء أعلم بألفاظ النبي صلى الله عليه وسلم من اللغويين كما أن اللغويين أعلم بعبارات أهل اللغة من الفقهاء، لذا قال أبو عبيدة في تفسير الفقهاء: " وهم أعلم بالتأويل "؛ أي: أعلم بتفسير كلام النبي صلى الله عليه وسلم لأنهم أعلم بالشريعة من أهل اللغة. (المغني لابن قدامة ٥٦٨/١ بتصرف).

والكثرة من الفقهاء يرون أن اشتمال الصماء لا يكون في حالة وجود إزار.

ويرى بعضهم أنه لا مانع من أن يكون متزرًا أو غير متزر. ومنشأ الخلاف في هذا مبني على الثوب ومع اختلافهم في التعريف على ما تقدم فقد اتفقوا على أن اشتمال الصماء- إن انكشفت معه العورة- كان حرامًا ومفسدًا للصلاة. وأما إذا لم يؤدِّ إلى ذلك فقد اتفقوا أيضاً على الكراهة، ولكن حملها بعضهم على كراهة التنزيه وهم الجمهور، وبعضهم على أنها كراهة تحريمية وهم الحنفية. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٣١٤/٤ بتصرف).

٢- التَّخصُّر في الصلاة:

أي وضع اليدين على الخاصرتين في الصلاة. وهو المسمى بالتَّخصُّر أو الاختصار، والخصر من الإنسان والحيوان وسطه وهو المستدق فوق الوركين وقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أن التخصر في الصلاة مكروه، أي تنزيهًا.

وذهب الحنفية إلى أنه مكروه تحريمًا؛ لمنافاته هيئة الصلاة المأثورة، والتشبه بالجبابرة. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٤١/١١).

وقد ذهب أهل الظاهر إلى القول بالتحريم. والأصل في ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «نُهِيَ أن يصلي الرجل مختصراً» رواه البخاري ومسلم.

قَوْلُه: (نُهِيَ) بِالضَّمِّ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

ورواه مسلم أيضاً والنَّسائي بلفظ «نهى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أن يصلي الرجل مختصراً».

وروى أحمد عن يزيد بن هارون «أنبأنا هشام عن محمد عن أبي هريرة قال: نُهِيَ عن الاختصار في الصلاة، قال: قلنا لهشام: ما الاختصار؟ قال: يضع يده على خصره وهو يصلي، قال يزيد: قلنا لهشام: ذكره عن النبي- صلى الله عليه وسلم-؟ قال برأسه أي نعم».

وبهذا التفسير فسره جمهور أهل اللغة، وأهل غريب الحديث، وعامة المحدثين والفقهاء، وهو الصحيح الذي عليه الجمهور. وقد سماه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بالصلب، فعن زناد ابن صبيح الحنفي قال: صليت إلى جنب ابن عمر فوضعت يدي على خاصرتي، فلما صلى قال هذا الصلب في الصلاة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عنه أخرجه أحمد (١٠٦/٢) وأبو داود (٩٠٣) والنسائي (١٤١/١) بإسناد جيد. أي: شبَه الصلب لأن المصلوب يمد باعه على الجذع وهيئة الصلب في الصلاة أن يضع يديه على خاصرته ويجافي بين عضديه في القيام. (عون المعبود شرح سنن أبي داود- العظيم آبادي ١٢٠/٣).

وقد قيل: إنه إنما نهى عنه؛ لأنه فعل المتكبرين، فلا يليق بالصلاة. وقيل: إنه فعل اليهود ويؤكده ما ثبت في البخاري عن عائشة

رضي الله عنها: كانت تكره أن يَجعل يده في خاصرته، وتقول: إن اليهود تفعله". وقيل: فعل الشيطان. فلذلك كرهه بعضهم في الصلاة وغيرها. (فتح الباري لابن رجب ٤٢٨/٦).

والظاهر ما قاله أهل الظاهر لعدم قيام قرينة تصرف النهي عن التحريم الذي هو معناه الحقيقي كما هو الحق، وأن الاختصار في الصلاة منهي عنه نهي تحريم؛ لأنه من فعل اليهود؛ كما ثبت عن عائشة رضي الله عنها، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنه.

وذلك ما لم تكن به حاجة تدعو إلى وضعها. فإن كان به عذر كمن وضع يده على خاصرته لوجع في جنبه أو تعب في قيام الليل، فتخصّر، جاز له ذلك في حدود ما تقتضي به الحاجة، ويقدر ذلك بقدرها. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٤١/١١).

٣- كفُّ الثوب والشعر في الصلاة:

وكفُّ الثوب في الصلاة أي: لملمته وجمع أطرافه باليدين للحيلولة دون سقوطه على الأرض عند السجود. فإذا صلى المسلم كره له أن يكفَّ ثوبه، بل يتركه على حاله يسقط حيثما سقط، دون أن يرفعه أو يلملمه أو يجمعه بين رجليه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه «أمرنا ألاّ نَكُفَّ شعراً ولا ثوباً». رواه مالك.

وأخرج الأئمة الستة أيضًا عن ابن عباس قال: (أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يسجد على سبعة أعضاء ولا يكف شعرًا ولا ثوبًا). ونجد في هذين الحديثين زيادة عما قلنا: بخصوص الثوب وهي كراهة كف الشعر، وهذا الحكم متعلق بصاحب الشعر الطويل المسترسل، وهو قليل بين الرجال في عصرنا الحديث، فمن كان شعره طويلاً تركه على حاله من التَّهدُّل والسقوط على الأرض في أثناء السجود دون أن يعقصه أو يُردِّده. (الجامع لأحكام الصلاة).

وظاهره أن ترك الكف واجب حال الصلاة لا خارجها، ورده القاضي عياض بأنه خلاف ما عليه الجمهور؛ فإنهم كرهوا ذلك للمصلي، سواء فعله في الصلاة أو قبل أن يدخلها. قال الحافظ: واتفقوا على أنه لا يفسد الصلاة لكن حكى ابن المنذر عن الحسن وجوب الإعادة. وقيل: الحكمة في ذلك أنه إذا رفع ثوبه وشعره عن مباشرة الأرض أشبه المتكبرين" (نيل الأوطار للشوكاني ٣٨٦/٢).

وعن أبي رافع: (أنه مر بالحسن بن علي وهو يصلي وقد عقص ضفرته، فحلها فالتفت إليه الحسن مغضبًا، فقال: أقبل على صلاتك، ولا تغضب فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ذلك كِفْل الشيطان) رواه الترمذي برقم ٣٨٤، وقال: وفي الباب عن أم سلمة وعبد الله بن عباس، قال أبو عيسى: حديث أبي رافع حديث حسن، والعمل على هذا عند أهل العلم كرهوا أن يصلي الرجل وهو معقوص شعره. (انظر سنن الترمذي).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: (أنه رأى عبد الله بن الحارث يصلي ورأسه معقوص إلى ورائه، فجعل يحله وأقر له الآخر، ثم أقبل على ابن عباس فقال: ما لك ورأسي؟ قال: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إنما مثل هذا كمثل الذي يصلي وهو مكتوف) رواه أحمد ومسلم.

والحكمة في ذلك أن الشعر يسجد معه إذا سجد، وفيه امتهان له في العبادة؛ قاله عبد الله بن مسعود فيما رواه ابن أبي شيبة في المصنف بإسناد صحيح إليه: (أنه دخل المسجد فرأى فيه رجلاً يصلي عاقصًا شعره، فلما انصرف قال عبد الله: إذا صليت فلا تعقص شعرك؛ فإن شعرك يسجد معك، ولك بكل شعرة أجر، فقال الرجل: إني أخاف أن يتترب فقال: تتريبه خير لك). (نيل الأوطار للشوكاني ٣٨٦/٢).

وللحديث بقية إن شاء الله، نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا.

تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبيه المجتبى ورسوله المصطفى، وبعد:

فهذه نظرات في كتاب تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد للحافظ زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، وهو كتاب من كتب أحاديث الأحكام مبتكر في طريقته، فريد في منهجه، مهم في موضوعه، ويقوم منهج الكتاب على فكرتين رئيستين:

إعداد محمد عبد العزيز

الأولى: جمع الكتاب من أصح الأسانيد إما مطلقًا أو مقيدًا.

الأخرى: جمع الأحاديث التي عليها مدار الأحكام الفقهية.

وقد حقق المؤلف بذلك أربعة أمور هي في بابها غاية:

الأول: قصر الأسانيد بحيث يسهل حفظها.

الثاني: قلة هذه الأسانيد، فقد دار الكتاب كله على ستة عشر إسنادًا.

الثالث: أصحية هذه الأسانيد، فهي من أصح الصحيح.

الرابع: معرفة جملة وفيرة من عيون الأحاديث التي تدور عليها الأحكام.

فرحم الله علماء الإسلام، وجزاهم عن دينهم وأمتهم خير الجزاء، وهذا أوان الشروع في التعريف بمصنِّف الكتاب والكتاب المصنَّف، ومنهج مؤلفه فيه.

١ - مصنف الكتاب:

الإمام الحافظ عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن إبراهيم العراقي.

يكنى الحافظ بـ: أبي الفضل، ولا يعرف له كنية غيرها، وكان يذكره أخص تلاميذه الحافظ ابن حجر بهذه الكنية فيقول قال شيخنا أبو الفضل، ويلقب بـ: بزين الدين.

و يعرف بنسبته، فيقال: الحافظ العراقي، أو زين الدين العراقي، أو الزين العراقي.

وهذه النسبة نظرًا لأصل والده: الحسين ابن عبد الرحمن فهو عراقي الأصل هاجر إلى مصر، وفيها ولد ابنه عبد الرحيم، فمصر بلد مولده، وإقامته، ومماته، ومن اللطائف أن الحافظ زين الدين لم ير العراق، ولم يدخلها حتى في رحلاته العلمية، ومع ذلك فقد اشتهرت نسبته إليها حتى إنه لا يُعرَف إلا بها، والحافظ أبو الفضل العراقي من علماء القرن الثامن الهجري، فقد وُلد عام: ٧٢٥ هـ.

ومن الطريف أن الحافظ العراقي انشغل من أول نشأته في طلب العلم حتى مضى شرخ شبابه ولم يتزوج حتى بلغ السادسة والثلاثين من عمره.

من أهم شيوخ الحافظ العراقي:

الحافظ عز الدين ابن جماعة، الحافظ صلاح الدين العلائي، الحافظ علاء الدين بن التركماني، الحافظ أحمد بن عبد الرحيم المرداوي.

من أهم تلاميذ الحافظ العراقي:

ابنه ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي، وهو الذي صنّف لأجله هذا الكتاب، الحافظ نور الدين الهيثمي زوج ابنته ورفيقه، صاحب كتب الزوائد المشهور، وهذا الفن أحد أهم الفنون التي تخرج على شيخه أبي الفضل العراقي بها، والحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، و هو من أكثر تلاميذ الحافظ العراقي ملازمةً له حتى إنه عدّ في معجم شيوخه أكثر من مئة مؤلَّف قرأها على شيخه العراقي، ومن تلامذته سبط ابن العجمي، وشهاب الدين البوصيري، والزين الزركشي، وبدر الدين العيني صاحب كتاب عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، وغيرهم من أساطين العلماء.

وتلاميذ الشيوخ أثر من أهم آثارهم العلمية التي تركوها، ولذا عددت هؤلاء الجلة ليعرف قدر هذا العلم.

أما آثاره العلمية التي خلفها فتتجاوز الستين مؤلفًا أغلبها غير مطبوع، وكثير منها مفقود، سأكتفي هنا بذكر بعضها، فمنها:

- تكملة شرح جامع الترمذي، وقد قصد بمؤلفه هذا استكمال شرح ابن سيد الناس، وقد كتب منه عشرة مجلدات تقريبًا.
- طرح التثريب شرح تقريب الأسانيد، وهو شرح

كتابه الذي سنعرض له كتب منه نحو مجلدة، ثم أكمله ابنه أبو زرعة.

- التقييد والإيضاح لما أغلق من كتاب ابن الصلاح.

- النجم الوهاج في نظم المنهاج، نظم به منهاج البيضاوي في أصول الفقه، وهو: ٣٦٧ بيتًا.

- تكملة شرح المهذب قصد به استكمال شرح شيخه السبكي على المهذب للشيرازي، وشيخه قصد به استكمال شرح النووي (المجموع).

ثناء العلماء عليه:

قال الحافظ ابن حجر في إنباء الغمر (٢/ ٢٧٦، ٢٧٧): « ولم نر في هذا الفن أتقن منه، وعليه تخرّج غالب أهل عصره، ومن أخصهم به صهره شيخنا نور الدين الهيثمي، وهو الذي درّبه وعلّمه كيفية التخريج والتصنيف».

وقال السخاوي في فتح المغيث (١ / ١٧): «كان إمامًا، علامة، مقرئًا، فقيهًا، شافعي المذهب، أصوليًّا، منقطع القرين في فنون الحديث وصناعته، ارتحل فيه إلى البلاد النائية، وشهد له بالتفرد فيه أئمة عصره، وعولوا عليه فيه، وسارت تصانيفه فيه وفي غيره، ودرس، وأفتى، وحدث، وأملى، وولي قضاء المدينة الشريفة نحو ثلاث سنين.

وانتفع به الأجلاء، مع الزهد والورع، والتحري في الطهارة وغيرها، وسلامة الفطرة، والمحافظة على أنواع العبادة، والتقنع باليسير، وسلوك التواضع والكرم والوقار، مع الأبهة والمحاسن الجمة. »

وقال الشوكاني في البدر الطالع (١ / ٣٥٥): «قال تلميذه الحافظ ابن حجر: وقد لازمته مدة فلم أره ترك قيام الليل، بل صار كالمألوف، ويتطوع بصيام ثلاثة أيام في كل شهر، وقد رزق السعادة في ولده الولي فإنه كان إمامًا كما تقدم في ترجمته، وفي رفيقه الهيثمي فإنه كان حافظًا كبيرًا، ورزق أيضًا السعادة في تلامذته فإن منهم الحافظ ابن حجر وطبقته، وكان عالمًا بالنحو، واللغة، والغريب، والقراءات، والفقه، وأصوله، غير أنه غلب عليه الحديث فاشتهر به وانفرد بمعرفته، وقد ترجمه جماعة من معاصريه ومن تلامذته ومن بعدهم وأثنوا عليه جميعًا وبالغوا في تعظيمه».

وقد توفي الحافظ العراقي وله من العمر واحدٌ وثمانون سنة في ليلة الأربعاء في التاسع من شعبان سنة: ٨٠٦ هـ.

فرثاه الناس بمرثيات وكان ممن رثاه الحافظ ابن حجر وقد كان بالحجاز في رحلة علمية فبلغه موت شيخيه الحافظ البلقيني، والحافظ العراقي فرثاهما بمرثيتين فكان مما قال:

لهفي على حافظ العصر الذي شهدت
أعلامه كاشتهار الشمس في الظهر
علم الحديث انقضى لما انقضى ومضى والـدهر
يفجع بعد العين بالأثر
لهفي على فقـد شيخيَّ اللذين هما أعز
عندي من سمعي ومن بصري

وقال:

وطاف بأرض مصر كل عام
بكأس الحين للعلماء ساق
فأطفأت المنون سراج علم
ونـور ناره لأولي النفاق
وأخلفت الرجا في ابن الحسين
الإمام فألحقتـه بالمساق
فيا أهل الشام ومصر فأبكوا
على عبد الرحيم ابن العراقي

واعلم أيها القارئ الكريم أني ما أردت أن أطيل في ترجمة المصنف، فهو أشهر من أن يترجم، لكنها جرة قلم جَرَتْ بهذا العطر الفياح بذكر علماء الإسلام.

٢- الكتاب المصنف:

أ- سبب تصنيف الكتاب:

ألف الحافظ زين الدين العراقي هذا الكتاب لابنه أحمد، ذلك أن سلسلة الأسانيد في القرن الثامن قد طالت، فأراد أن ييسر عليه الأمر فجمع له هذا الكتاب، وقد ذكر ذلك في مقدمة كتابه ، قال (ص ٢٨١، ٢٨٢): «فقد أردت أن أجمع لابني أبي زرعة مختصرًا في أحاديث الأحكام يكون متصل الأسانيد بالأئمة الأعلام، فإنه يقبح بطالب الحديث ألا يحفظ بإسناده عدة من الأخبار يُستغنى بها عن حمل الأسفار في الأسفار، وعن مراجعة الأصول عند المذاكرة والاستحضار.

ولما رأيت صعوبة حفظ الأسانيد في هذه الأعصار لطولها، وكان قصر أسانيد المتقدمين وسيلة لتسهيلها رأيت أن أجمع أحاديث عديدة في تراجم محصورة، وتكون تلك التراجم فيما عد من أصح الأسانيد، إما مطلقًا على قول من عممه، أو مقيدًا بصحابي تلك الترجمة».

ب- وقد ذكر المؤلف منهجه في هذا الكتاب، ويتلخص في:

- جمع المصنف في هذا الكتاب ٤١٦ حديثًا من عيون أحاديث الأحكام هي أصل الكتاب.

- إن كان في أحد روايات الحديث التي ليست على شرطه زيادة ذكرها تحت الحديث، كأن يقول: وعند أبي داود.

- إذا كان في الحديث زيادة عند غير الصحابي الذي

روى من طريقه الحديث فإنه يقول: ولفلان من حديث فلان كذا.

- بلغت أحاديث الكتاب مع هذه الزيادات حوالي ألف حديث.

- جمع المصنف أحاديث أصل الكتاب على ١٦ إسنادًا فقط.

- اشترط المصنف في هذه الأسانيد المنتقاة أن تكون من أصح الأسانيد إما مطلقًا، وإما مقيدًا بالصحابي، كأن يكون أصح إسناد لأبي هريرة - رضي الله عنه -.

- جمع المصنف أحاديث أصل الكتاب من مصنفين اثنين:

الأول: موطأ مالك بن أنس - رحمه الله تعالى -، وقد اعتمد رواية أبي مصعب الزهري، ذلك أنها من آخر روايات الموطأ، وأكملها، قال ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام (٢/ ٣٧): «ولم يزل الموطأ يروى عن مالك منذ ألفه طائفة بعد طائفة وأمة بعد أمة، وآخر من رواه عنه من الثقات أبو المصعب الزهري لصغر سنه وعاش بعد موت مالك ثلاثًا وستين سنة، وموطؤه أكمل الموطآت؛ لأنه فيه خمسمائة حديث وتسعون حديثًا بالمكرر أما بإسقاط التكرار فخمسمائة حديث وتسعة وخمسون حديثًا».

الثاني: مسند أحمد، واختار له رواية أبي بكر القطيعي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه، وهي أشهر روايات الموطأ.

- اختار الحافظ العراقي من أصح الأسانيد أربعة أسانيد من موطأ مالك، روى بها ١٢٨ حديثًا.

الإسناد الأول: مالك عن نافع عن ابن عمر روى به ٦٧ حديثًا.

الإسناد الثاني: مالك عن الزهري عن أنس، روى به ٥ أحاديث.

الإسناد الثالث: مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، روى به ٥١ حديثًا.

الإسناد الرابع: عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر عن أبيه: القاسم عن عائشة، روى به ٥ أحاديث.

و اختار من أسانيد مسند أحمد ١٢ إسنادًا، روى بها ٢٧٤ حديثًا.

وأنا تارك ذكرها هنا اختصارًا.

- وقد ذكر المؤلف إسناده إلى موطأ مالك برواية أبي مصعب، وإسناده إلى مسند أحمد برواية القطيعي في أول الكتاب فيتصل إسناد هذه السلاسل بهذا.

- رتّب المؤلف الأحاديث على أبواب الفقه ؛ ليقرب تناوله.

- خرج المصنف أحاديث كتابه بعد ذكرها على النحو التالي:

ما كان في الصحيحين لم يعزه لأحد.

وما كان في أحدهما عزاه له.

وما كان في غيرهما بينه.

طبعات الكتاب:

للكتاب أربع طبعات:

الأولى: التي مع شرحه طرح التثريب في شرح التقريب، وقد طبعت لأول مرة في مطبعة جمعية النشر والتأليف، بتصحيح وتعليق: الشيخ محمود حسن ربيع، ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥م، وقد طبع في ثمانية أجزاء في أربعة مجلدات، وهي أجود طبعات هذا الكتاب، وعنها أخذت سائر الطبعات، على أن هذا السفر ما زال يحتاج لتحقيق علمي رصين.

الثانية: طبعة دار الكتب العلمية، سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٢ م، وقد أخذ متن الكتاب من الطبعة السابقة، وطبع دون ترقيم لأحاديثه، وقد علّق على بعض الغريب، وأكبر الظن أن شرح الغريب مأخوذ من طرح التثريب.

الثالثة: طبعة مكتبة نزار مصطفى الباز، عناية: عبد المنعم إبراهيم، وأغلب الظن أنه أخذها أيضًا من طرح التثريب، فإنه لم يذكر النسخ الخطية المعتمدة في التحقيق، وقد رقم أحاديث الكتاب فبلغت بترقيمه: ١١١١ حديث، وهو تحقيق متوسط.

الرابعة: طبعة دار النوادر، بدراسة وتحقيق: بلال محمد أبو حوية، وأصله رسالة ماجستير في كلية الشريعة - جامعة دمشق، الطبعة الأولى: ١٤٣٣-٢٠١٢ م.

وهذه الطبعة هي أجود طبعات الكتاب على الإطلاق، وقد حقق الكتاب على أربع نسخ خطية، وقدم له بدراسة قيمة، وخدم الأصل خدمة جيدة من حيث توثيق النصوص وتخريج الأحاديث.

أهم خدمات الكتاب:

أ - خرج أحاديث الكتاب: خالد بن ضيف الشلاحي في كتاب: التقريب في تخريج أحاديث تقريب الأسانيد، الناشر: دار المؤيد، عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

ب - أهم شروح الكتاب :

من أهم شروح الكتاب: كتاب طرح التثريب في شرح التقريب، بدأه الحافظ العراقي، وأتمه ابنه الحافظ أبو زرعة العراقي - رحمهما الله تعالى -، وقد سبقت الإشارة لأهم طبعة لهذا الكتاب، وعنها أخذت سائر الطبعات، وهذا السفر ما زال يحتاج لمن يقوم على خدمته في رسالة علمية تبرزه على ما يليق به.

ومن شروحه: تيسير المجيد شرح تقريب الأسانيد، لعبد المنعم إبراهيم، الناشر: مكتبة أولاد الشيخ للتراث، في ثلاثة مجلدات، وهي طبعة بدون بيانات، غير أنها طبعت عام: ٢٠١٣ م، وهو شرح سهل، التقط غالبه من طرح التثريب.

هذا ما يسره الله في هذا المقال، ولله الحمد أولاً وآخرًا ظاهرًا وباطنًا.



إدارة الغضب بين التقييم والتقويم

الحلقة السادسة

من أسباب الغضب والانفعال (الاختلاف – الظلم – المراء)

إعداد د. ياسر لمعي عبد المنعم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

يُعَدُّ الغضب من العواطف الطبيعية والصحية التي يمر بها كل إنسان عندما يواجه صعوبات الحياة المختلفة، ولكن من المهم أن يحسن التعامل معه بطريقة إيجابية؛ لأن الغضب غير المنضبط سيؤثر بشكل سلبي على صحته، وعلى علاقته بالآخرين؛ لذا سأوضح لك أسبابه، وبواعثه، ومثيراته، فمع بعضنا له أسباب، ومع بعضنا الآخر ليس له أسباب، فمنا من يغضب لأسباب مقبولة، ومنا من يثور لغير سبب ذي بال، فقط هو غضوب وغضبه سينصب على نفسه، وعلى صحته، وصحبته، ورفده.

وقد اختصر الراغب الأصفهاني أسباب الغضب في قوله: من بواعث أسباب الغَضَب: (العُجب، والافتخار، والمراء، واللجاج، والمزاح، والتيه، والضيم، والاستهزاء، وطلب ما فيه التنافس، والتحاسد، وشهوة الانتقام). (الذريعة إلى مكارم الشريعة- الأصفهاني - بتصرف- ٣٤٦).

وأزيدك من الشعر بيتاً وهو الخلاف، إنه باب كل شر حيث يختلف الناس بسوء أدب دون ضوابط للخلاف كأنهم ما اتفقوا إلا على الخلاف، فيكون هناك صخب ولجاج، وانتفاخ للأوداج، فغضب، فاشتباك، إما باللسان أو بالأيدي.

أولاً: الخلاف

الخلاف هو: «نقيض الاتفاق. قال تعالى: (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) (هود: ١١٨) جاء في اللسان ما مفاده: اختلف الأمران لم يتفقا. وكل ما لم يتساوَ فقد اختلف».

الاختلاف باقٍ: جعل الله الاختلاف جزءاً من طبيعة الحياة، حتى فيما بين الأب والابن، ورغم أن الابن فرع عن الأب، لكنه قد يختلف معه في الفكر، والأسلوب، والذوق، والطبيعة فالاختلاف حتمي وواقع فلا سبيل للمفرِّ منه، وما يترتب عليه من تعدٍّ بالألفاظ وخلافه فهذا ما نكره في الخلاف، لكنه سنة ربانية؛ إذ إن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات اختلف الأصحاب الكرام في تسمية الخليفة، فقال الأنصار: سعد بن عبادة وجلسوا مجتمعين في سقيفة بني ساعدة، ثم اتفق أمرهم على

أبي بكر الصديق بعد ما روى لهم أن الأمر لا يصلح إلا لقريش. (البداية والنهاية- ابن كثير ٧/٩٣).

فالاختلاف في الرأي، وفي الفهم، وفي الميل، وفي القصد، وفي الرغبة، لا يفسد للود قضية.

مآلات الاختلاف:

اختلاف يقتضي عداوة وشقاقاً، ويقع في الاختلاف الحقيقي، كالاختلاف في الأصول المجمع عليها، وهنا نظهر للجميع غضباً محموداً لا نعصي الله فيه.

اختلاف لا يقتضي عداوة وشقاقاً، ويقع في عامة الاختلاف الصوري، وقد يقع في الاختلاف الحقيقي، كالاختلاف في كثير من الفروع باجتهاد سائغ.

ومن أقسام الاختلاف:

اختلاف مؤثر في الأحكام والأعمال المترتبة.

واختلاف نظري ذهني لا ينبني عليه شيء في أرض الواقع.

فالأول اختلاف مؤثر في العمل، ومنه السائغ الذي لا يضر، ومنه غير السائغ، والآخر من قبيل اختلاف السفسطة: هل البيضة قبل الدجاجة.. أم الدجاجة قبل البيضة؟! قال شيخ الإسلام: «وأما ما يحتاج المسلمون إلى معرفته فإن الله نصب على الحق فيه دليلاً، فمثال ما لا يفيد ولا دليل على الصحيح منه: اختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف، وفي البعض الذي ضرب به موسى من البقرة، وفي مقدار سفينة نوح وما كان خشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر ونحو ذلك، فهذه الأمور طريق العلم بها النقل، فما كان من هذا منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي صلى الله عليه وسلم كاسم صاحب موسى أنه الخضر، فهذا معلوم وما لم يكن كذلك بل كان مما يؤخذ عن أهل الكتاب كالمنقول عن كعب، ووهب، ومحمد بن إسحق وغيرهم، ممن يأخذ عن أهل الكتاب فهذا لا يجوز تصديقه ولا تكذيبه إلا بحجة». (الفتاوى لابن تيمية ١٣/٣٤٥).

وقال: «وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني؛ ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في مثل هذا كثيراً..». (المرجع السابق ١٣/٣٦٧).

ثانياً الظلم:

الظلم هو التعدي على الآخرين، وعدم إنصافهم، وانتهاك حقوقهم، وهو عكس العدل، أمَّا القهر فهو التذليل والأخذ بدون رضا، فالظلم والقهر من أشدّ السلوكيات إيلاماً، فالظلم يؤلمنا، والقهر يؤرقنا، وكلاهما صعب وسئ له آثار كبيرة نفسياً وجسدياً على النفس، وعلى الغير وهو من الأسباب التي تولد الغضب لدى الإنسان وتجعله يفكر في الانتقام، ويغضب بأشد ما أوتي من قوة بسبب تعرضه لظلم الآخرين. والظلم له صور وأشكال كظلم الحاكم للمحكوم، والتاجر لعامله، وظلم الناس بعضهم لبعض فيلجأ المظلوم في هذه الحالة للانتقام من الظالم والحصول على حقه. وفي حالة الغضب لا يفكر المظلوم في النتائج المترتبة على سلوكه وانتقامه من ظالمه، ومما جاء في السنة النبوية في النهي عن الظلم الذي هو من بواعث الغضب، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذاً إلى اليمن، فقال: «اتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب» (أخرجه البخاري (٢٣١٦)).

وعن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما روي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً. فلا تظالموا» (أخرجه مسلم (٢٥٧٧)).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الظلم ظلمات يوم القيامة». (أخرجه البخاري (٢٣١٥)).

الخلاصة: الظلم مؤثر خارجي فيكون سبباً في غضبة يقوم بها المظلوم، وتحدث الطامة التي لا يتوقعها الظالم فيسترد حقه، أو ينتقم منه في غضبة هو سببها؛ لذا ننصح المظلوم بحسن إدارة أمره وغضبه بتفويض الأمر لله ثم سلوك

القنوات القانونية تجاه الظالم، ونحذِّر الظالم من ظلمه بحديث (الظلم ظلمات يوم القيامة) كما أننا نذكره أن الجزاء من جنس العمل.

ثالثاً المراء:

المراء: الجدال، والتماري. والمماراة: المجادلة على مذهب الشكِّ والريبة، ويقال للمناظرة: مماراة، وماريته أماريه مماراة ومراء: جادلته. (لسان العرب- ابن منظور ١٥/٢٧٨).

قال الجرجاني: (المراء: طعن في كلام الغير لإظهار خَلل فيه، من غير أن يرتبط به غرض سوى تحقير الغير). (التعريفات- الجرجاني ٧٤).

الجدال والمراء: هما بمعنً واحد غير أن المراء مذموم؛ لأنه مخاصمة في الحقِّ بعد ظهوره، وليس كذلك الجدال، ولا يكون المراء إلا اعتراضاً، بخلاف الجدال، فإنَّه يكون ابتداء واعتراضاً. (الفروق اللغوية- أبو هلال العسكري ١٥٨).

قال عبدالله بن الحسين: المراء رائد الغضب فأخزى الله عقلاً يأتيك به الغضب. (البيان والتبيين – الجاحظ ١/٢٠٨).

وللمراء آفات كثيرة منها: الغضب؛ لهذا فقد نهى الشارع الحكيم عنه في حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً». (أخرجه أبو داوود (٤٨٠٠)).

وقال تعالى: (هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (آل عمران: ٦٦).

قال الطبري: (يعني بذلك جلَّ ثناؤه: ها أنتم: هؤلاء القوم الذين خاصمتم وجادلتم فيما لكم به علم من أمر دينكم الذي وجدتموه في كتبكم، وأتتكم به رسل الله من عنده، وفي غير ذلك مما أوتيتموه، وثبتت عندكم صحته، فلِمَ تحاجُّون؟ يقول: فلِمَ تجادلون وتخاصمون فيما ليس لكم به علم). (جامع البيان- الطبري ٥/٣٨٤).

قال الشوكاني:(وفي الآية دليل على منع الجدال بالباطل، بل ورد الترغيب في ترك الجدال من المحقِّ). (فتح القدير- الشوكاني ١/٤٠١).

وقال السعدي: (وقد اشتملت هذه الآيات على النهي عن المحاجة والمجادلة بغير علم، وأنَّ من تكلَّم بذلك فهو متكلِّم في أمر لا يُمكَّن منه، ولا يسمح له فيه. (تيسير الكريم الرحمن- السعدي ١٣٤).

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما ضلَّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل». ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: (وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) (الزخرف: ٥٨). (أخرجه الترمذي (٣٢٥٣)).

قال القاري: (والمعنى ما كان ضلالتهم ووقوعهم في الكفر إلا بسبب الجدال، وهو الخصومة بالباطل مع نبيهم، وطلب المعجزة منه عناداً أو جحوداً، وقيل: مقابلة الحجة بالحجة، وقيل: المراد هنا العناد، والمراء في القرآن ضربُ بعضه ببعض؛ لترويج مذاهبهم، وآراء مشايخهم، من غير أن يكون انتصارهم لهم نصرة على ما هو الحق، وذلك محرم، لا المناظرة لغرض صحيح كإظهار الحقِّ فإنه فرض كفاية). (مرقاة المفاتيح- القاري ١/٢٦٥).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخصم». (أخرجه البخاري ٢٤٥٧).

قال الصنعاني: (أي: الشديد المراء؛ أي الذي يحجُّ صاحبه). (سبل السلام- الصنعاني ٢/٦٧٤).

هذا وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسباب الطلاق والتفكك الأسري

ثانيًا: جهل الأبوين بتعليم العروسين مقاصد الزواج

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لقد أباح الإسلام الطلاق كما أباح الزواج، لكنه شدَّد في طلب الطلاق بغير بأس، ولأسباب واهية، ذلك لأن الطلاق آثاره في الغالب مضرة للزوجين، خاصة في حالة وجود أولاد، وخاصة مع رقة الدين، وضعف الإيمان، وغياب التدين والوازع الديني. أما في حالة الاضطرار إلى التفريق بين الزوجين فلا جناح عليهما، وقد قال الله تعالى: «وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا» (النساء: ١٣٠).

إعداد جمال عبد الرحمن

ولقد انتشرت ظاهرة الطلاق انتشار النار في الهشيم، والواقع المشاهد أقوى دليل على ذلك. وقد ذكرنا في الحلقة الماضية السبب الأول من أسباب وقوع الطلاق والتفكك الأسري؛ وهو اقتران الزوج بزوجة ثانية، وفي هذا المقال نذكر السبب الثاني من أسباب وقوع الطلاق وهو:

جهل الأبوين بتعليم العروسين مقاصد الزواج:

من الأمور المتحتمة على كل أب وأم أن يعلما أنَّ الزواج آية من آيات الله تعالى امتن بها على عباده ليتحقق بها الاستقرار النفسي، والسكون الروحي لدى الزوجين، وهو بذلك نعمة من نعم الله التي لا تحصى على عباده.

قال تعالى: « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (الروم: ٢١).

ولذلك وجب على كل أبوين تلقين أبنائهما بنين وبنات مقاصد الزواج وأسس الحياة السعيدة.

مقاصد الزواج:

ومن مقاصد الزواج:

١- أن يجد المرء اللطف والراحة والدَّعة والهدوء النفسي والسكون الروحي مع زوجته.

٢- تحصيل الذرية الصالحة التي تعبد الله وحده ولا تُلحد، وتصلح في الأرض ولا تفسد، ولذلك أمر بتزويج الصالحين بالصالحات، فقال جل شأنه: «وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ » (النور: ٣٢).

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: وزوّجوا أيها المؤمنون من لا زوج له، من أحرار رجالكم ونسائكم، ومن أهل الصلاح من عبيدكم ومماليككم. والأيامى: جمع أيم، وهي من لا زوج لها.... (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ) يقول: إن يكن هؤلاء الذين تُنْكحونهم من أيامى رجالكم ونسائكم وعبيدكم وإمائكم أهل فاقة وفقر، فإن الله يغنيهم من فضله، فلا يمنعنكم فقرهم من إنكاحهم....عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ) قال: أمر الله سبحانه بالنكاح، ورغّبهم فيه، وأمرهم أن يزوّجوا أحرارهم وعبيدهم، ووعدهم في ذلك الغنى، فقال: (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ)....وعن عبد الله بن مسعود، قال: التمسوا الغنى في النكاح، يقول الله: (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ)....وقال ابن زيد، في قوله: (وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ) قال: أيامى النساء: اللاتي ليس لهنّ أزواج. (تفسير الطبري:

١٦٦،١٦٥/١٩).

ومن مقاصد الزواج أيضًا:

٣. تكثير الذرية وليس تحصيلها فقط: فمن معيار خيرية الزوجات قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؟ الودود الولود العؤود، التي إذا ظُلمت قالت: هذه يدي في يدك، لا أذوق غمضاً حتى ترضى). (رواه الدار قطني والطبراني وحسنه الألباني).

ومن فوائد تكثير الذرية تعبديًا وتحصيل أجر طاعة النبي صلى الله عليه وسلم ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباءة، وينهى عن التبتل نهيا شديدا، ويقول: «تزوجوا الودود الولود، إني مكاثر الأنبياء يوم القيامة» (مسند أحمد ٦٣/٢٠، وإسناده قوي).

ومن مقاصده:

٤. الوصول إلى عفة النفس وتطهير القلب، وذلك بما يُفترض أن يترتب على الزواج من غض البصر وتحصين الفرج.

عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ». (صحيح البخاري: ٢٦/٣).

و(الباءة) هي في اللغة الجماع، والتقدير: من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤن النكاح، وقيل: المراد بالباءة هنا مؤن الزواج. (أغض للبصر) أدعى إلى غض البصر. (أحصن للفرج) أدعى إلى إحصان الفرج أي حفظه من الزنا. (وجاء) قاطع للشهوة).

ومن مقاصده:

٥. بناء أسرة صالحة مسلمة لله تكون لبنة صالحة في بنيان المجتمع المسلم، ويكون من أهدافها التربية الصالحة للأولاد، وسد ذرائع التشرد عنهم والفساد، الذي ينتج عن تدهور الأسرة بالطلاق والخلافات الزوجية، التي تعصف بالأسرة وتجعلها في مهب ريح التمزق والفشل والاضطراب، والضياع الأخلاقي، والوقوع في براثن الجريمة.

تعليم الأولاد سبيل السعادة الزوجية:

- ولكي يتعلم الأبناء تلك المقاصد فلابد من تعريفهم بواجب وحق كل واحد منهما نحو الآخر، وهذه:

وصية أعرابية لابنتها ليلة زفافها:

قالت أم لابنتها ليلة زفافها وهي تودعها: أي بنيّة، إنك قد فارقت بيتك الذي منه خرجت، ووكرك الذي فيه نشأت؛ إلى وكر لم تألفيه، وقرين لم تعرفيه، فكوني له أمة، يكن لك عبدا، واحفظي له عشر خصال يكن لك ذخرا. أما الأولى والثانية، فالصحبة بالقناعة، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، أما الثالثة والرابعة: فالتعهد لموقع عينيه، والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشمن منك إلا أطيب ريح، والكحل أحسن الحسن الموصوف، والماء والصابون أطيب الطيب المعروف. وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت طعامه، والهدوء عند منامه، فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مكربة، وأما السابعة والثامنة: فالعناية ببيته وماله، والرعاية لنفسه وعياله، أما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمرا ولا تفشين له سرا، فإنك أن عصيت أمره أوْغَرْت صدره، وإن أفشيت سره لم تأمني غَدْرَه، ثم بَعد ذلك إياك والفرح حين اكتئابه، والاكتئاب حين فرحه؛ فإن الأولى من التقصير والثانية من التكدير، وأشد ما تكونين له إعظامًا، أشد ما يكون لك إكرامًا، ولن تَصلي إلى ذلك حتى تؤثري رضاه على رضاكِ، وهواه على هواكِ فيما أحببت أو كرهت.

أي بنية؛ لو أن المرأة استغنت عن الرجل لغنى أبويها وعدم حاجتهما إلى غيرهما لكنتُ أَغْنى الناس؛ ولكن النساء للرجال خُلقن،

ولهن خُلقَ الرجال. أي بنية؛ إن النصيحة تنبيه للغافل، وتزكية للعاقل. والله يصنع لك، الخير واستودعتك الله.

وصية والد لولده عند زواجه:

أيْ بُني: أحمد الله جل في علاه أن أحياني حتى أراك يوم زفافك وقد اكتملت رجولتُك، وتسعى لتحرز نصف دينك، وها أنت ستخرج من عالم عشت فيه كالطائر الحر تسعى فيه وتحلق عالياً بلا قيود، وتقف على شطآن البحار دون همّ أو غمّ؛ إلى عالم جديد فيه من المسؤولية ما فيه.

أي بُني: إنّ أسعد ما يكون الأب يوم يرى فلذة كبده قد صار رجلاً، وإنك ستقدم على عالم جديد وحياة جديدة، فيها من الجمال الكثير إن أنت أحسنت التنقيب عنه واستخراجه، وفيها من التنغيص ما يودي بك إلى شقاء الحياة وتعس الرفادة.

فاحرص على الانتقاء ترتقي واحرص على حسن المعاملة تتقي، وإيّاك وسوء الظن في زوجك فهو الجحيم بعينه وهو المهلكة بذاتها.

أي بني: إنّك لن تنال السعادة في بيتك إلا بعشر خصال تمنحها لزوجك فاحفظها عني واحرص عليها:

أما الأولى والثانية: فإنّ النّساء يُحببْنَ الدلال ويحببن التصريح بالحب، فلا تبخل على زوجتك بذلك، فإن بخلت جعلت بينك وبينها حجاباً من الجفوة، ونقصاً في المودة.

وأما الثالثة: فإنّ النّساء يكرهنَ الرجل الحازم العنيف، ويستخدمن الرجل اللين الضعيف، فاجعل لكل صفة مكانها فإنّه أدعى للحب، وأجلَب للطمأنينة.

وأما الرابعة: فإنّ النساء يُحببن من الزوج ما يحب الزوج منهنّ؛ من طيب الكلام وحسن المنظر ونظافة الثياب وطيب الرائحة، فكن في كل أحوالك كذلك، وتجنب أن تقترب من زوجتك تريدها نفسك؛ وقد بلل العرق جسدك، وأدْرَنَ الوسخ ثيابك، فإنّك إن فعلْت جعلْت في قلبها نفوراً، وإن أطاعتك فقد أطاعك جسدها ونَفَرَ منك قلبُها.

أما الخامسة: فإنّ البيت مملكة الأنثى وفيه تشعر أنّها متربعة على عرشها وأنها سيدة فيه، فإيّاك أن تهدم هذه المملكة التي تعيشها، وإياك أن تحاول أن تزيحها عن عرشها هذا، فإنّك إن فعلت نازعتَها مُلكها، وليس لِمَلِك أشدّ عداوةً ممن ينازعه ملكه وإن أظهر له غير ذلك.

أما السادسة: فإنّ المرأة تحب أن تكسب زوجها ولا تخسر أهلها، فإيّاك أن تجعل نفسك مع أهلها في ميزان واحد؛ فإمّا أنت وإمّا أهلها، فهي وإن اختارتك على أهلها فإنّها ستبقى في كمدٍ تنقل عَدْواه إلى حياتك اليومية.

أما السابعة: فإنّ المرأة خُلقت من ضلع أعوج وهذا سرّ الجمال فيها وسرُّ الجذب إليها وليس هذا عيباً فيها «فالحاجب زَيّنه العوَجُ»، فلا تحمل عليها إن هي أخطأت حملةً لا هوادة فيها تحاول تقييم المعوج فتكسرها وكسرها طلاقها، ولا تتركها إن هي أخطأت حتى يزداد اعوجاجها وتتقوقع على نفسها فلا تلين لك بعد ذلك ولا تسمع إليك، ولكن كن دائما معها بَيْنَ بَيْن.

أما الثامنة: فإنّ النّساء جُبلن على كُفر العشير وجُحدان المعروف، فإن أحسنت لإحداهنّ دهراً ثم أسأت إليها مرة قالت: ما وجدت منك خيراً قط، فلا يحملنّك هذا الخلق على أن تكرهها وتنفر منها، فإنّك إن كرهت منها هذا الخلق رضيتَ منها غيره.

أما التاسعة: فإنّ المرأة تمر بحالات من الضعف الجسدي والتعب النفسي، حتى إنّ الله سبحانه وتعالى أسقط عنها مجموعةً من الفرائض التي افترضها في هذه الحالات، فقد أسقط عنها الصلاة نهائياً في حالة الحيض وفترة النفاس، وأنْسأ (أَخّرَ) لها الصيام خلالهما حتى تعود صحتها ويعتدل مزاجُها، فكن معها في هذه الأحوال ربانياً، كما خفف الله سبحانه وتعالى عنها فرائضه أن تخفف عنها طلباتك وأوامرك.

أما العاشرة: فاعلم أنّ المرأة أسيرة عندك فارحم أسرها وتجاوز عن ضعفها تكن لك خير متاع وخير شريك. والسلام. انتهى.

وإلى لقاء إن شاء الله.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة (٢٠٨)

قصة الصلاة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تعليمها السفهاء

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ والمتصوفة، ومما ساعد على انتشارها وجودها في بعض كُتب الترغيب والترهيب، وإلى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

إعداد: علي حشيش

أولاً: المتن:

رُوِيَ عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اثْنَتَا عَشْرَةَ رَكْعَةً تُصَلِّيهِنَّ مِنْ لَيْلٍ، أَوْ نَهَارٍ، وَتَتَشَهَّدُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ فَإِذَا تَشَهَّدْتَ فِي آخِرِ صَلَاتِكَ فَأَثْنِ عَلَى اللَّهِ، تَعَالَى، وَصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاقْرَأْ وَأَنْتَ سَاجِدٌ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَقُلْ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَعَاقِدِ الْعِزِّ مِنْ عَرْشِكَ، وَمُنْتَهَى الرَّحْمَةِ مِنْ كِتَابِكَ، وَاسْمِكَ الأَعْظَمِ وَجَدِّكَ الأَعْلَى، وَكَلِمَاتِكَ التَّامَّةِ، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ، ثُمَّ ارْفَعْ رَأْسَكَ، ثُمَّ سَلِّمْ يَمِينًا وَشِمَالا، وَلا تُعَلِّمُوهَا السُّفَهَاءَ، فَإِنَّهُمْ يَدْعُونَ بِهَا فَيُسْتَجَابُ لَهُمْ».

ثانيًا: التخريج:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه:

- الإمام الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني المعروف بقوَّام السنة (٤٥٧-٥٣٥هـ) في كتابه «الترغيب والترهيب» (٣٤/٣) (ح٢٠٢١) قال: أخبرنا أحمد بن علي بن خلف، أنبأنا الحاكم أبو عبد الله، أنبأنا محمد بن القاسم بن عبد الرحمن العتكي،

حدثنا محمد بن أشرس السلمي، حدثنا عامر بن خداش النيسابوري، حدثنا عمر بن هارون البلخي عن ابن جريج، عن داود بن أبي عاصم، عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اثنتا عشرة ركعة تصليهن من ليل أو نهار..» الحديث.

وأخرجه الحافظ ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٤٢/٢) قال: أنبأنا محمد بن ناصر، أنبأ أبو عمرو عثمان بن محمد النيسابوري، أنبأنا الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله به.

وأخرجه البيهقي في كتاب «الدعوات الكبير» (١٨/٢) (ح٤٤٣) من طريق عمر بن هارون به.

ثالثًا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة لا يصح والقصة واهية، وعلتها: عمر بن هارون البلخي.

١- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧٦٥/١٤٠/٦): عمر بن هارون البلخي روى عن ابن جريج.

٢- وقال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم، حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد قال: سمعت يحيى بن معين يقول: عمر بن هارون كذاب، قدم مكة وقد مات جعفر بن محمد فحدث عنه». اهـ.

٣- وقال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن عمر بن هارون فقال: تكلم فيه ابن المبارك فذهب حديثه. اهـ.

٤- وقال ابن أبي حاتم: سمعت أبا زرعة يقول: سمعت إبراهيم بن موسى وقيل له: لِمَ لا تحدث عن عمر بن هارون، فقال: الناس تركوا حديثه. اهـ.

٥- قلت: وفي رواية أبي خالد الدقاق يزيد بن الهيثم بن طهمان (١٤١/١) قال: سمعت أبا زكريا يحيى بن معين يقول عمر بن هارون: «ليس بثقة».

٦- وقال الإمام الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني في «الكامل» (٣٠/٥) (١٢٠١/٢٣٤): حدثنا أبو عصمة، حدثنا أبو طالب: سمعت أحمد بن حنبل يقول: «عمر بن هارون لا أروي عنه شيئًا».



٧- قلت: ثم بيَّن الإمام الحافظ ابن عدي علاقة عمر بن هارون بابن جريج وبين تفرده عنه بمثل هذه المناكير، فقال: «ولعمر بن هارون غير ما ذكرت من الحديث ويقال أنه لقي ابن جريج بمكة وكان حسن الوجه فسأله ابن جريج ألك أخت؟ فقال: نعم، فتزوج بأخته، قال: لعل هذا الحسن يكون في أخته كما في أخيها، فتفرد عن ابن جريج وروى عنه أشياء لم يروها غيره». اهـ.

٨- قلت: وأقر هذا الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٢٣٧/٢٢٨/٣)، قال: «وقد تزوج ابن جريج بأخته وجاور عنده، وقال ابن مهدي وأحمد: «متروك الحديث»، وقال يحيى: «كذاب خبيث»، وقال أبو داود: «غير ثقة»، وقال الدارقطني: «ضعيف جدًا»، وقال علي بن المديني: ضعيف جدًا. وقال صالح جزرة: كذاب. وقال أبو علي النيسابوري: متروك». اهـ. هذا ما نقله الإمام الذهبي عن أئمة الجرح والتعديل.

٩- قال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٤٧٥): «عمر بن هارون البلخي: متروك الحديث». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند البخاري له معناه حيث بين ذلك الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٧٣) فقال: «مذهب النسائي ألا يترك حديث الرجل حتى يجتمع الجميع على تركه». اهـ.

١٠- وقال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٩٠/٢): «عمر بن هارون البلخي أبو حفص الثقفي، يروي عن ابن عروبة وابن جريج وشعبة.

روى عنه العراقيون وأهل بلده وكان ممن يروي عن الثقات المعضلات ويدعى شيوخًا لم يرهم. وكان ابن مهدي حسن الرأي فيه. قال محمد بن عمرو السويقي: شهدت عمر بن هارون ببغداد، وهو يحدثهم فيسأل عن حديث لابن جريج رواه عنه الثوري لم يشارك فيه فحدث به فرأيتهم مزقوا عليه الكتب.

قال أبو حاتم: والمناكير في روايته تدل على صحة ما قال يحيى بن معين فيه»

١١- قلت: لذلك قال الإمام ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٤٢/٢): «هذا حديث موضوع بلا شك، وإسناده كما ترى، وفي إسناده عمر بن هارون، قال يحيى: كذاب. وقال ابن حبان: يروي عن الثقات المعضلات ويدعي شيوخًا لم يرهم، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن القراءة في السجود».

رابعًا: الاستنتاج:

نستنتج مما أوردناه آنفًا من أقوال أئمة الجرح والتعديل:

١- أن هذه القصة «قصة الصلاة التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تعليمها السفهاء»، والتي تقضي بها الحاجات وتستجاب بها الدعوات قصة موضوعة.

وقال الإمام السيوطي في «التدريب» (٢٧٤/١) النوع (٢١): «الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ.

٢- وهذا الخبر الذي جاءت به القصة تفرد به عمر بن هارون عن ابن جريج وروى عنه أشياء لم يروها غيره كما بينا آنفًا.

٣- وعمر بن هارون البلخي كذَّاب خبيث متروك الحديث ليس بثقة.

٤- مما بيناه من تفرد عمر بن هارون وأنه كذاب خبيث، وتطبيق ما قاله الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٣٩): «ثم المردود وموجب الرد إمَّا أن يكون لسقط من الإسناد أو طعن في الراوي.. ثم الطعن يكون بعشرة أشياء بعضها أشد في القدح من بعض، وهي ترتيبها على الأشد فالأشد في موجب الرد على سبيل التولي، فأشدها الطعن لكذب الراوي وهو أول المراتب ثم قال: فالأول الموضوع وهو الطعن بكذب الراوي». اهـ.

تصبح القصة واهية والخبر الذي جاءت

به القصة موضوع.

خامسًا: دعوى إثبات القصة بالتجريب:

أخرج الحافظ الأصبهاني في كتابه «الترغيب والترهيب» (٣٥/٣) (ح٢٠٢٢): قال الحاكم: وحدثنا أبو زكريا: يحيى ابن محمد العنبري قال: حدثني إبراهيم ابن علي الذهلي قال: حدثني أحمد بن حرب وكتبه لي بخطه، حدثنا عامر بن خداش فذكره بنحوه.

وقال أحمد بن حرب: قد جربته فوجدته حقًا.

وقال إبراهيم بن علي الذهلي: قد جربته فوجدته حقًا.

وقال الحاكم: وقال لنا أبو زكريا: قد جربته فوجدته حقًا.

وقال الحاكم: قد جربته فوجدته حقًا.

سادسًا: الرد على إثبات القصة بالتجربة:

قال الإمام الشوكاني في «تحفة الذاكرين» ط. دار القلم بيروت لبنان (٢١٥/١): «وأقول السنة لا تثبت بمجرد التجربة، ولا يخرج بها الفاعل للشيء معتقدًا أنها سنة عن كونه مبتدعًا، وقبول الدعاء لا يدل على أن سبب القبول ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد يجيب الله الدعاء من غير توسل بسنة وهو أرحم الراحمين، وقد تكون الاستجابة استدراجًا، ومع هذا ففي هذا الذي يقال: إنه حديث؛ مخالفة للسنة المطهرة، فقد ثبت في السنة ثبوتًا لا شك فيه، النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود فهذا من أعظم الدلائل على كون هذا المروي موضوعًا لاسيما وفي إسناده عمر بن هارون بن يزيد الثقفي البلخي المذكور، فإنه من المتروكين المتهمين، وإن كان حافظًا، وكذا تلميذه عامر بن خداش، فلعل هذا من مناكيره التي صار يرويها، والعجب من اعتماد مثل الحاكم والبيهقي والواحدي ومن بعدهم على التجريب في أمر يعلمون جميعًا أنه يشتمل على خلاف السنة المطهرة وعلى الوقوع في مناهيها». اهـ.

قلت: لذلك قال الشيخ الألباني محدث الديار الشامية رحمه الله وحافظ بلاد الشام في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢١٦/١) (ح٤١٨): «هذا حديث موضوع»، ثم رد على من يريد إثبات الحديث بالتجربة، فقال: «لا يجوز الاعتماد في مثله على التجربة، وما أحسن ما قاله الشوكاني في «تحفة الذاكرين»، ثم نقل رحمه الله كلام الإمام الشوكاني رحمه الله، والذي أوردناه آنفًا.

قلتُ: لذلك قال الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» (فصل ٦): ونحن ننبِّه على أمور كلية يُعرف بها كون الحديث «موضوعًا»: منها مناقضة الحديث لما جاءت به السنة الصريحة مناقضة بيِّنة. اهـ.

ولقد بيَّن الإمام الشوكاني مخالفة حديث القصة للسنة المطهرة كما أوردناه آنفًا.

هذا ما وفقني الله تعالى إليه، وهو وحده من وراء القصد.

الحلقة (٣٩)

قرائن اللغة والنقل والعقل على حمل صفات الله (الخبرية) و(الفعلية) على ظاهرها دون المجاز

أئمة أهل السنة في إثبات استوائه تعالى على عرشه: على نهج النبي عليه السلام وخير القرون.. خلافا للأشاعرة الذين أبوا إلا اتباع نهج الجهم والمعتزلة والخوارج في تأويلهم الاستواء بالاستيلاء

إعداد: د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فمن المناسب - بعد أن أفضنا في سرد أدلة الكتاب والسنة، وذكرنا من كلام خير القرون ما به تقام الحجة على من أوّل الاستواء فحرّف الكلم عن مواضعه - أن نستأنس بكلام أئمة أهل السنة في هذه القضية التي زلت بسببها الأقدام، والتي تمس بالأساس عقيدة الأمة في توحيد ربها في صفاته.. ونذكر من كلامهم:

أ- طرفاً من نصوص أئمة أهل السنة في القرنين الثالث والرابع الهجريين في إثبات صفة الاستواء وسوقهم الإجماع عليه

ما قاله إمام المحدثين علي بن المديني وقد سئل عن مذهب أهل السنة والجماعة، فقال: «يؤمنون بالرؤية وبالكلام، وأن الله فوق عرشه استوى»، كذا في العلو للذهبي ص١٢٩ ومختصره للألباني ص١٨٩.

وما ذكره إسحاق بن راهويه، وقد سئل عن: (مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ.. المجادلة/٧) كيف نقول فيه؟، فقال: «حيث ما كنتَ فهو أقرب إليك من حبل الوريد، وهو بائن من خلقه»، وجعل يردد قول ابن المبارك: (هو على عرشه بائن من خلقه)، ثم قال: «ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) طه/٥)»، ومما فاه به، قوله يسوق الإجماع: «إجماع أهل العلم أنه تعالى فوق العرش استوى، ويعلم كل شيء في أسفل الأرض السابعة»، كذا في العلو.

وعن الحارث المحاسبي فيما نقله عنه ابن القيم في اجتماع الجيوش قوله: «وأما قوله تعالى: (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ) طه/٥)، (وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ)الأنعام/١٨)، (إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا) الإسراء/٤٢)، فهذه وغيرها توجب أنه فوق العرش، فوق الأشياء كلها، متنزّهٌ عن الدخول في خلقه، لا يخفى عليه منهم خافية، لأنه أبان في هذه الآيات أنه بنفسه فوق عباده، كما أن قوله: (ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ) الملك/١٦) يعني: فوق العرش، والعرش على السماء، لأن من كان فوق كل شيء على السماء، يكون في السماء، كما في قوله: (وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ) طه/٧١) يعني: فوقها، وكذلك قوله: (فَسِيحُواْ فِى ٱلْأَرْضِ)التوبة/٢) (يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ) المائدة/٢٦)، أي: على الأرض لا يريد الدخول في جوفها».

ومن قبل هؤلاء جاء عن الحافظ بشر بن عمر الزهراني قوله: «سمعت غير واحد من المفسرين في (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ)طه/٥): على العرش ارتفع».. وتلك هي دلالة الاستواء على ما تستوجبه عقيدة السلف الصالح وتقتضيه لغة العرب، وليس كما ذكر المتكلمة قديماً وحديثاً أنها بمعنى: الاستيلاء وأنه بذاته في كل مكان.

وبنحو ما سبق في إثبات استوائه تعالى على عرشه، بل وسوق الإجماع على ذلك، يقول قتيبة بن سعيد: «قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة: نعرف ربنا بأنه في السماء السابعة

على عرشه، كما قال».. ويقول ابن أبي عاصم: «جميع ما في كتابنا -السنة الكبير- من الأخبار التي ذكرنا أنها توجب العلم: نحن نؤمن بها لصحتها وعدالة ناقليها، ويجب التسليم لها على ظاهرها، وترك تكلف الكلام في كيفيتها، وذكر من ذلك: النزول إلى السماء الدنيا والاستواء على العرش»، كذا في العلو ومختصره ومعارج القبول.

ويؤكد اقتصار جانب المتشابه على ما تعلق من الاستواء بالكيف، ما أورده الذهبي عن منصور بن عمار واعظ زمانه وذلك حين كتب إليه بشر المريسي يسأله، كيف استوى؟؛ فكتب إليه منصور: «استواؤه غير محدود والجواب فيه تكلف ومسألتك عن ذلك بدعة والإيمان بجملة ذلك واجب».. وما أورده في ذم النفاة وما يسع المسلم اعتقاده، من قوله: «حسب امرئ أن يعلم أن ربه هو الذي على العرش استوى، فمن تجاوز إلى غير ذلك فقد خاب وخسر».

ولبشر الحافي عقيدة رواها عنه ابن بطة في (الإبانة) وذكر الذهبي جانباً منها، يقول فيها بوجوب «الإيمان بأن الله على عرشه استوى كما شاء، وأنه عالم بكل مكان»، كما سُمع له في سجوده قوله: «اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل لك أحبُّ إليَّ من الشرف».. ولذي النون شيخ الديار المصرية قوله: «حَجب جلالَه عن العيون، وناجاه على عرشه ألسنةُ الصدور».

وكان الإمام البخاري، قد عنون في آخر (الجامع الصحيح) في كتاب (الرد على الجهمية): لـ«باب: قوله تعالى (وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ) هود/٧)، قال أبو العالية: (استوى إلى السماء): ارتفع، وقال مجاهد في (استوى): (علا على العرش)»، وكذا فعل جُلُّ أصحاب السنن.. ومما قاله الذهلي إمام خراسان: «إن الله علمه محيط بكل مكان، والله على العرش».. ومما كَتب به المزني في السنة التي يجب على المسلم أن يُصبِّر نفسه عليها: أنه تعالى «عالٍ على عرشه، دانٍ بعلمه من خلقه.. وقدرته ونَعته وصفاته دائمات أزليات، ليست محدثات فتَبيد، ولا كان ربنا ناقصاً فيزيد، جلت قدرته عن شَبَه المخلوقين، عالٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه».

كما جاء في العلو للذهبي ولابن قدامة، عن الحافظين: أبي زرعة الرازي إمام أهل الحديث في زمانه وأبي حاتم الرازي فيما رواه عنهما عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: «سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة والجماعة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً ومصراً وشاماً ويمناً، وما يعتقدان من ذلك؟، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار فكان من مذاهبهم: أن الله على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً (لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ) الشورى/١١)»، وفي كتاب التوحيد لابن مندة بلفظ: «سئل أبو زرعة عن حديث ابن عباس: (الكرسي موضع القدمين)، فقال: (نقول كما جاء وكما هو في الحديث)».

ومما ذكره الذهبي في إثبات استواء الله على عرشه، ما نقله في العلو عن الترمذي، قال في جامعه: «قال أهل العلم: وهو على العرش كما وصف في كتابه».. وما نقله عن ابن أبي شيبة صاحب كتاب (العرش)، قال: «ذكروا أن الجهمية أنكروا العرش، وأن يكون الله فوق، وقالوا: إنه في كل مكان، ففسرت العلماء (وَهُوَ مَعَكُمْ) الحديد/٤) يعني: علمه، ثم تواترت الأخبار أن الله خلق العرش فاستوى عليه فهو فوق العرش متخلصاً من خلقه، بائناً منهم».

وكذا ما نقله عن العلامة أبي بكر الإسماعيلي، قال: «اعلموا أن مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة: الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله، وقبول ما نطق به الله (والأصح: الالتزام بألفاظ السلف في الإخبار عن الله ، فنقول " وقبول ما تكلم به الله "لا ما نطق به الله) وما صحت به الرواية عن رسول الله، لا معدل عما ورد به، ويعتقدون أن الله مدعو بأسمائه الحسنى، موصوف بصفاته التي وصف بها نفسه ووصفه بها نبيه، خلق آدم بيده، ويداه مبسوطتان، بلا اعتقاد كيف، واستوى على العرش بلا كيف، فإنه انتهى إلى أنه استوى على العرش، ولم يذكر كيف كان استواؤه».. وما نقله عن شيخ المالكية في عصره أبي إسحاق محمد بن القاسم المصري، قال: «الحمد لله أحق ما بدا.. على عرشه استوى،

فهو دانٍ بعلمه، أحاط علمُه الأمور ونفذ حكمه على سائر المقدور».

وللآجري في (الشريعة) قوله: «الذي يذهب إليه أهل العلم أن الله على عرشه فوق سماواته، وعلمه محيط بكل شيء، قد أحاط بجميع ما خلق في السماوات العلى، وبجميع ما في سبع أرضين، ترفع إليه أعمال العباد، فإن قيل فما معنى قوله: (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)؟ قيل: علمه، والآية يدل أولها وآخرها على أنه العلم وهو على عرشه، هذا قول المسلمين».. كما قال الحافظ أبو الشيخ محدث أصبهان في كتابه (العظمة): «ذكر عرش الرب وكرسيه وعِظَم خلقهما وعلو الرب فوق عرشه»، ثم ساق جملة من الأحاديث السالفة الذكر.

وفي كلام لابن أبي زيد المغربي شيخ المالكية في زمانه، قال في أول رسالته المشهورة في مذهب مالك: «وأنه تعالى فوق عرشه المجيد بذاته، وأنه في كل مكان بعلمه»، وكان مما قاله القيرواني صاحب رسالة (الإيماء إلى مسألة الاستواء) بعد أن ساق قول ابن أبي زيد وابن جرير والقاضي عبد الوهاب وجماعة من شيوخ الفقه والحديث: «وأطلقوا على بعض الأماكن أنه فوق عرشه.. وهذا هو الصحيح الذي أقول به من غير تحديد ولا تمكن في مكان ولا كون فيه ولا مماسة»، يقول الذهبي في العلو معلقاً: «سلب هذه الأشياء وإثباتها مداره على النقل، فلو ورد شيء بذلك نطقنا به، وإلا فالسكوت والكف أشبه بشمائل السلف، إذ التعرض لذلك نوع من الكيف وهو مجهول، وكذلك نعوذ بالله أن نثبت استواءه بمماسة أو تمكن، بلا توقيف ولا أثر، بل نعلم من حيث الجملة أنه فوق العرش كما ورد النص».

ومما ذكره العلامة ابن أبي زمنين، في كتابه (أصول السنة)، قوله: «ومن قول أهل السنة: أن الله خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله: (ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ)(طه/٥)، وفي قوله: (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ) (الحديد/٤)، فسبحان من بعُد فلا يُرى، وقرُب بعلمه وقدرته فسمع النجوى»، قال: «ومن قول أهل السنة: أن الكرسي بين يدي العرش، وأنه موضع القدمين» وساق في ذلك الأدلة.

ولشيخ أبي الحسن الأشعري زكريا الساجي قوله فيما نقله عنه الذهبي: «القول في السنة التي رأيت عليها أصحابنا أهل الحديث الذين لقيناهم: أن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف يشاء».. وللبربهاري شيخ الحنابلة قوله فيما نقله عنه: «الكلام في الرب محدثة وبدعة وضلالة، فلا يُتكلم إلا بما وصف به نفسه، ولا نقول في صفاته: لمَ؟ ولا كيف؟، يعلم السر وأخفى، وعلى عرشه استوى، وعلمه بكل مكان».

وكان أبو أحمد العسال محدث أصبهان في كتابه (المعرفة)، قد ساق في باب تفسير: (الرحمن على العرش استوى) ما ورد في هذا الباب من أقوال أئمة السلف كربيعة ومالك والثوري وأبي عيسى يحيى بن رافع وكعب وابن المبارك، وحديث ابن مسعود الذي يقول فيه: (والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم)، وهو حديث صحيح كما مرَّ.

ومما نقله الذهبي عن العلامة الكرجي قوله في عقيدته التي ألفها وجمع الخليفةُ (القادر بالله) الناسَ عليها: «كان ربنا وحده لا شيء معه، ولا مكان يحويه، فخلق كل شيء شاء وأراد، وخلق العرش لا لحاجة إليه فاستوى عليه كيف شاء، لا استواء راحة، وكل صفة وصف بها نفسه أو وصفه بها رسوله، فهي صفة حقيقة لا صفة مجاز»، وعليه علق الذهبي في العلو يقول: «ولو كانت الصفات تُرَدّ إلى المجاز، لبطل أن تكون صفاتٍ لله، وإنما الصفة تابعة للموصوف، فهو موجود حقيقة لا مجازاً، وصفاته ليست مجازاً، فإذا كان لا مثل له ولا نظير، لزم أن تكون لا مثل لها» اهـ.

ب- والإمام الطحاوي في معتقده الذي تلقته الأمة بالقبول .. يقول بإثبات العرش والكرسي والاستواء، ويردُّ على من تأول ذلك من الأشاعرة:

وفي عقيدة الإمام الطحاوي عالم الديار المصرية، وفي «ذكر بيان أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة وأبي يوسف وأبي محمد»، ما نصه: «والعرش والكرسي حق كما بين في كتابه، وهو مستغن عن العرش وما دونه، محيط

بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة به خلقه»، وفي شرحه وعقيب ذكره النصوص فيهما، علق ابن أبي العز يقول راداً على ما فاه به الأشاعرة من تأويلات ما أنزل الله بها من سلطان: «أما من حرَّف كلام الله وجعل العرش عبارة عن (المُلك)؛ كيف يصنع بقوله تعالى: (وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ) الحاقة/١٧)، وقوله: (وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ)هود/٧)، أيقول: (ويحمل ملكه يومئذ ثمانية!، وكان ملكه على الماء!، ويكون موسى عليه السلام آخذاً من قوائم المُلك؟!)، وهل يقول هذا عاقل يدري ما يقول؟!»، قال: «وقيل: (كرسيه: علمه)، ويُنسب إلى ابن عباس، والمحفوظ عنه ما رواه ابن أبي شيبة: (الكرسي موضع القدمين، والعرش لا يقدُر قدْرَه إلا الله)، ومن قال غير ذلك فليس له دليل إلا مجرد الظن، والظاهر أنه من جَزَاء الكلام المذموم كما قيل في العرش)».

يقول ابن أبي العز: "لما ذكر -الطحاوي- العرش والكرسي، ذكر بعد ذلك غناه سبحانه عن العرش وما دون العرش، ليبين أن خلقه العرش لاستوائه عليه، ليس لحاجته إليه وإنما لحكمة اقتضته؛ وكون العالي فوق السافل لا يلزم أن يكون السافل حاوياً للعالي محيطاً به حاملاً له، ولا أن يكون الأعلى مفتقراً إليه، فانظر إلى السماء كيف هي فوق الأرض وليست مفتقرة إليها؟، فالرب أعلى شأناً، وأجل من أن يَلزم من علوه ذلك، بل لوازم علوه من خصائصه، وهي: حمله بقدرته للسافل وفقر السافل وغناه سبحانه عنه وإحاطته به، فهو فوق العرش مع حمله بقدرته للعرش وحمَلته، وغناه عن العرش، وفقر العرش إليه، وإحاطته بالعرش، وعدم إحاطة العرش به، وحصره للعرش، وعدم حصر العرش له، وهذه اللوازم منتفية عن المخلوق، ونفاة العلو أهل التعطيل، لو فصلوا بهذا التفصيل لهُدوا إلى سواء السبيل وعلموا مطابقة العقل للتنزيل ولسلكوا خلف الدليل، ولكن فارقوا الدليل فضلوا عن سواء السبيل، والأمر في ذلك كما قال مالك لما سئل (كيف استوى؟): (الاستواء معلوم والكيف مجهول)، ويُروى هذا عن أم سلمة موقوفاً ومرفوعاً.. والمراد من إحاطته بخلقه: إحاطة عظمته وسعة علمه وقدرته، وأنها بالنسبة إلى عظمته كخردلة، كما روي عن ابن عباس.

جـ- أئمة السلف ممن عاصروا الجهم بن صفوان يغلِّظون القول بحق من رضي بقوله فعطل وتأوَّل الاستواء، فهل يعتبر أشاعرة الزمان؟؛

هذا، ومن النصوص الدالة على وجوب إثبات صفات الأفعال، والمبيِّنة إلى أي مدى وصلت فتنة الجهمية وصلفها في تعطيلها وتحريفها، ومدى تمسك سلفنا الصالح بصحيح المعتقد، ومدى خطورة الخروج في أمر الصفات عما كانوا عليه: ما أورده الذهبي عن ابن مهدي ت١٩٨ فيما أخرجه الذهبي، قال: "إن الجهمية أرادوا أن ينفوا أن يكون الله كلم موسى وأن يكون على العرش، أرى أن يستتابوا، فإن تابوا وإلا ضربت أعناقهم".

وما أخرجه كذلك عن الحافظ يزيد بن هارون، قال: "من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يَقَر في قلوب العامة فهو جهمي".. وبنحوه عن القعنبي شيخ البخاري ومسلم وذلك لما سمع رجلاً من الجهمية يقول: (الرحمن على العرش استولى)، قال: "من لا يوقن أن الرحمن على العرش استوى كما يَقَر في قلوب العامة، فهو جهمي".. وإنما أراد بالعامة كما نص على ذلك الذهبي: "جمهور الأمة وأهل العلم، والذي وقر في قلوبهم من الآية: ما دل عليه الخطاب مع يقينهم بأن المستوي ليس كمثله شيء".. وعن الحافظ عبد الوهاب الوراق، قال: "من زعم أن الله ههنا فهو جهمي خبيث، إن الله فوق العرش وعلمه محيط بالدنيا والآخرة"، كذا في (العلو) ص١١٧، ١٢١، ١٤٢.

وقريب مما سبق: ما ذكره في العلو ص١٢٣ عن مفتي مكة وعالمها ابن الزبير الحميدي من قوله: "نقف على ما وقف عليه القرآن والسنة، ونقول: (الرحمن على العرش استوى.. طه/٥)، ومن زعم غير هذا فهو مبطل جهمي".. وكذا ما نقله ص١٤٠ عن يحيى بن معاذ الرازي قال: "إن الله على العرش بائن من خلقه، أحاط بكل شيء علماً، لا يشذ عن هذه المقالة إلا جهمي يمزج الله بخلقه" وإلى لقاء آخر نستكمل الحديث.. والحمد لله رب العالمين.

رضا الله طريق النجاة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:
فإن رضا الله تعالى هو النور الذي نسلك به طريق السعادة والنجاة في كل وقت وحين، وهدف عظيم ينبغي أن يسعى المسلم لتحقيقه.

إعداد صلاح عبد الخالق

رضا الناس غاية لا تدرك:

يقول ابن تيمية رحمه الله: " مِمَّا يَجِبُ أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ لاَ يَسُوغُ فِي الْعَقْلِ وَلاَ الدِّينِ طَلَبُ رِضَا الْمَخْلُوقِينَ لِوَجْهَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: أَنَّ هَذَا غَيْرُ مُمْكِنٍ. كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رِضَا النَّاسِ غَايَةٌ لاَ تُدْرَكُ. فَعَلَيْكَ بِالأَمْرِ الَّذِي يُصْلِحُكَ فَالْزَمْهُ وَدَعْ مَا سِوَاهُ وَلاَ تُعَانِهِ.

وَالثَّانِي: أَنَّا مَأْمُورُونَ بِأَنْ نَتَحَرَّى رِضَا اللهِ وَرَسُولِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى «وَاللَّهِ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ»، وَعَلَيْنَا أَنْ نَخَافَ اللهَ فَلاَ نَخَافُ أَحَدًا إلاَّ اللهَ كَمَا قَالَ تَعَالَى «فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» وَقَالَ: «فَلاَ تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ»، وَقَالَ: فَعَلَيْنَا أَنْ نَخَافَ اللهَ وَنَتَّقِيَهُ فِي النَّاسِ، فَلاَ نَظْلِمُهُمْ بِقُلُوبِنَا وَلاَ جَوَارِحِنَا وَنُؤَدِّي إلَيْهِمْ حُقُوقَهُمْ بِقُلُوبِنَا وَجَوَارِحِنَا، وَلاَ نَخَافُهُمْ فِي اللهِ فَنَتْرُكَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ خِيفَةً مِنْهُمْ. وَمَنْ لَزِمَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ كَانَتْ الْعَاقِبَةُ لَهُ كَمَا كَتَبَتْ عَائِشَةُ إلَى مُعَاوِيَةَ:

" أَمَّا بَعْدُ: وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ ".

فَالْمُؤْمِنُ لاَ تَكُونُ فِكْرَتُهُ وَقَصْدُهُ إلاَّ رِضَا رَبِّهِ وَاجْتِنَابِ سَخَطِهِ وَالْعَاقِبَةُ لَهُ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بِاللهِ. (مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٢٣٢/٣).

ثمرات رضا الله تعالى

١- محبة الله تعالى ثم محبة الناس:

- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنِ التَمَسَ رِضَى اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ..). رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صحيحه (٢٦٦) وصحيح الجامع (٦٠٩٧).

- رضي عن فلان: أحبَّه "لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ" معجم اللغة العربية المعاصرة (٩٠٣/٢).

- " التمس ": طلب، فإذا التمس العبد رضا ربه بنية صادقة رضي الله عنه؛ لأنه أكرم من عبده، وأرضى عنه الناس، وذلك بما يُلقي في قلوبهم من الرضا عنه ومحبته؛ لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يُقلبها كيف يشاء. (القول المفيد على كتاب التوحيد: ٤٩/٢)

٢-كفايةُ الله مؤنة الناس:

كَتَبَ مُعَاوِيَةُ إِلَى عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنِ اكْتُبِي إِلَيَّ كِتَابًا تُوصِينِي فِيهِ، وَلاَ تُكْثِرِي عَلَيَّ، فَكَتَبَتْ عَائِشَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ: سَلاَمٌ عَلَيْكَ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: مَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ. (سنن الترمذي: ٢٤١٤).

هذا من أعظم الفقه في الدين؛ فإن من أرضى الله بسخطهم، كان قد اتقاه، وكان عبده الصالح، والله يتولى الصالحين، والله كاف عبده، «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ»، والله يكفيه مؤونة الناس بلا ريب. (الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد: ٥٨/١).

٣-رضا الله يخلّص العبد من سخط الناس:

لأن الله إذا رضي عن العبد أرضى عنه الناس والعبد إذا سعى في مَرضاة الله لا يُبالي بكلام الناس، أما المشكلة إذا سعى في مرضاة الناس فسيجد نفسه مُتعباً؛ لأنه لن يستطيع إرضاءهم فيعيش في شقاء أما من يسعى لرضا الله فلا يحسب لكلام الناس أي حساب ولن يتعبَ نفسياً ولو وصل إليه كلام الناس فلن يؤذيَه نفسياً و لن يبالي مادام الله راضياً عنه. (فصل الخطاب في الزهد: ٢٠٢/٦).

٤-نيل السعادة في الدنيا والآخرة:

- السعيد الذي لا يَعنيه إلا رضا الله، ولا يَعنيه الشر إطلاقاً، لا يلتفت إلى الخلق، لأنه على يقين أن رزقه بيد الخالق، لا بيد الخلق وأن قلوب الخلق لا تقبل إليه بالحب والبغض إلا بتقدير الخالق، فهذا لا يعلق قلبه بالمخلوقين لا بثنائهم، لا ببغضهم، ولا بذمتهم، ولا بحمدهم، بل يُعلق قلبه بربهم جل جلاله، فلا يعنيه إلا أن يقول: قال الله: قال رسوله بما يرضي الله سبحانه لا بما يُحصّلُ به رضا الناس، فمن قال لله لا يخشى في الله لومة لائم، بالحكمة البالغة، والموعظة الحسنة، أسعده الله في الدنيا والآخرة. (القضاء والقدر للصلابي: ٣٣٨/١).

شؤم تقديم رضا الناس على رضا الله:

تقديم رضا الناس على رضا الله له آثار خطيرة منها:

١-غضب الله تعالى عليه:

- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ الْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ، كَفَاهُ اللَّهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ). (صحيح الجامع: ٦٠٩٧)

- من التمس رضا الناس بسخط الله " أي: طلب ما يُرضي الناس أي خوفاً منهم حتى يَرضوا عنه، فقدم خوفهم على مخافة الله تعالى، ولو كان يسخط الله فنتيجة ذلك أن يُعامل بنَقيض قصده، لهذا قال: سخط الله عليه وأسخط عليه الناس فألقى في قلوبهم سخطه وكراهيته. (القول المفيد على كتاب التوحيد: ٥٠/٢).

٢-كراهية الناس:

(من أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس)، فالإنسان الذي يُريد أن يُحبه الناس وهو مُتول أمرهم فلا يُجامل في الخطأ، ولا يظلم إنساناً من أجل أن يُرضي إنساناً آخر، فالله يسخط عليه، ولن يُحبك الذين أنت تُجاملهم، بل لأنك تظلم الغير، فلن يُحبوك أبداً، لأنهم يَعلمون في أنفسهم أنك ظالم. (شرح رياض الصالحين لابن حطيبة: ٤/٥٢).

٣-سلط الله عليه الناس:

- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:

(وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ) سنن الترمذي (٢٤١٤).

- وَكَلَهُ إِلَى النَّاسِ يَعْنِي سَلَّطَ النَّاسَ عَلَيْهِ حَتَّى يُؤْذُوهُ وَيَظْلِمُوا عَلَيْهِ وَلَمْ يَدْفَعْ عَنْهُ شَرَّهُمْ. (مرقاة المفاتيح: ٣٢٠٤/٨).

- قال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (الأنعام: ١٢٩).

- نُسَلِّطُ بَعْضَ الظَّلَمَةِ عَلَى بَعْضٍ فَيُهْلِكُهُ وَيُذِلُّهُ. هَذَا تَهْدِيدٌ لِلظَّالِمِ إِنْ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ ظُلْمِهِ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ ظَالِمًا آخَرَ. وَيَدْخُلُ فِي الْآيَةِ جَمِيعُ مَنْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ أَوْ يَظْلِمُ الرَّعِيَّةَ، أَوِ التَّاجِرُ يَظْلِمُ النَّاسَ فِي تِجَارَتِهِ أَوِ السَّارِقُ وَغَيْرُهُمْ. وَقَالَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: إِذَا رَأَيْتَ ظَالِمًا يَنْتَقِمُ مِنْ ظَالِمٍ فَقِفْ، وَانْظُرْ فِيهِ مُتَعَجِّبًا. (تفسير القرطبي: ٨٥/٧).

وصدق من قال: من أعان ظالما سلطه الله عليه.

أسباب تحصيل رضا الله تعالى:

١- الرفق واللين: قال تعالى: « ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ » (النحل: ١٢٥).

- ادع يا محمد الناس إلى دين الله وشريعته القُدسية بالأسلوب الحكيم، واللطف واللين، بما يؤثر فيهم وينجع، لا بالزجر والتأنيب والقسوة والشدة «وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» أي وجادل المخالفين بالطريقة التي هي أحسن ومن طرق المناظرة والمجادلة بالحجج والبراهين، والرفق واللين «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بالمهتدين» أي إن ربك يا محمد هو العالم بحال الضالين وحال المهتدين. (صفوة التفاسير: ١٣٧/٢).

٢- اليقين التام بأن الله وحده بيده الخلق والأمر:

فهو الرازق والمحي والمميت فهو وحده المستحق بالعبادة والرضا حتى نستريح ولا نخاف إلا منه وحده؛ فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ». (سنن الترمذي: ٢٥١٦).

٣- عدم الخوف إلا من الله:

- يحكى لنا الملك سبحانه في كتابه العظيم قصة هؤلاء الأبطال العظماء الذين ضربوا لنا المثل والقدوة والثبات كالجبال على الحق ورضا لله رغم قوة البطش والتهديدات بقطع الأيدي والأرجل والتعليق داخل جذوع النخل وقالوا كلمات تكتب بدموع العيون الخاشعة لله تعالى.

- قال تعالى: «قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ (٧١) قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٢) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ » (طه: ٧١- ٧٣)، فازداد السحرة بعد هذا التهديد تمسكا بإيمانهم، وهانت عليهم أنفسهم وهانت عليهم الدنيا كلها من أجل رضوان الله.

اللهم ثبتنا على طريق الحق الذي يُرضيك عنا.

مثل الكلمة الخبيثة

إعداد مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل آخر من الأمثال في القرآن، وهو في قوله تعالى: « وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ » (إبراهيم:٢٦، ٢٧).

المعنى الإجمالي:

قال ابن القيم رحمه الله: "ذكر سبحانه الكلمة الخبيثة فشبَّهها بالشجرة التي « ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ » (إبراهيم:٢٦)، فلا عرق ثابت، ولا فرع عَالٍ، ولا ثمرة زاكية، فلا ظل، ولا جَنى، ولا ساقٌ قائم، ولا عرقٌ في الأرض ثابت، فلا أسفلها مُغدقٌ، ولا أعلاها مُونِقٌ، ولا جَنى لها، ولا تعلو بل تُعلى. (إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ١٣٥)

قال الربيع بن أنس: مثل الشجرة الخبيثة مثل الكافر، ليس لقوله ولا لعمله أصل ولا فرع، ولا يستقر قوله ولا عمله على الأرض، ولا يصعد إلى السماء.

ثم أخبر سبحانه عن فضله وعدله في الفريقين أصحاب الكلم الطيب والكلم الخبيث، فأخبر أنه يثبت الذين آمنوا بإيمانهم بالقول الثابت أحوج ما يكونون إليه في الدنيا والآخرة، وأنه يضل الظالمين وهم المشركون عن القول الثابت، فأضلَّ هؤلاء بعدْله لظلمهم، وثبت المؤمنين بفضله لإيمانهم".

معاني المفردات:

كلمة خبيثة: أي كلمة باطلة، كلمة كفر وضلال كشجرة فاسدة غير نافعة لا تستحق إلا القطع والإزالة. (القاموس القويم ١/ ١٨٥).

قال ابن عباس: « وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ » (إبراهيم:٢٦) وهي الشرك « كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ » (إبراهيم:٢٦) يعني الكافر. (تفسير الطبري).

وقال ابن كثير: « وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ » (إبراهيم:٢٦) هذا مثل كفر الكافر، لا أصلٍ له ولا ثبات، وشبه بشجرة الحنظل، ويقال لها: «الشِّريَانُ». (رواه شعبة عن معاوية بن قرَّة، عن أنس بن مالك: أنها شجرة الحنظل).

« ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ » (إبراهيم:٢٦) اجتثت: أي: استؤصلت وأخذت جثتها بالكلية من فوق الأرض أي: لأن عروقها قريبة منه ما لها من قرار أي: استقرار.

« مَا لَهَا مِن قَرَارٍ » (إبراهيم:٢٦). قال البغوي: ما لها من قرار: ثبات، معناه وليس لها أصل ثابت في الأرض ولا فرع صاعد إلى السماء، كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح.

« يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ » (إبراهيم:٢٧) قال البغوي في تفسيره: قوله تعالى: « يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ »: كلمة التوحيد، وهي قول لا إله إلا الله، في الحياة الدنيا، يعني قبل الموت، وفي الآخرة، يعني في القبر هذا قول أكثر المفسرين، وقيل: في الحياة الدنيا عند السؤال في القبر وفي الآخرة عند البعث، والأول أصح.

« فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ » (إبراهيم:٢٧) قال ابن عطية في الوجيز: الحياة الدنيا هي مدة حياة الإنسان، وفي الآخرة هي وقت سؤاله في قبره.

« وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ » (إبراهيم:٢٧) قال القاسمي في محاسن التأويل: ويضل الله الظالمين: أي يخلق فيهم الضلال عن الحق الذي ثبت المؤمنين عليه حسب إرادتهم واختيارهم، ووصفهم بالظلم لوضعهم الشيء في غير موضعه أو لظلمهم أنفسهم حيث بدَّلوا فطرة الله التي فطر الناس عليها.

« وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ » (إبراهيم:٢٧) أي من التثبيت والإضلال حسبما تقتضيه حكمته البالغة.

المعنى التفصيلي:

قال صاحب التفسير القرآني أثناء حديثه حول الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة: "وليست الكلمة في ذاتها، من حيث هي كلمة هي التي يكون لها هذا الوصف من الطيب، أو تكون لها تلك الأوصاف من الخبث، وإنما الكلمة- طيبة كانت أو خبيثة- لا يظهر طيبها أو خبثها، إلا إذا التقت بعقل الإنسان، ونفذت إلى قلبه، وَسَرَتْ في مشاعره وسكنت إلى وجدانه- عندئذ تخرج خبأها وتصرِّح عن مكنونها وتعطي الثمر الطيب أو الخبيث الذي كان مستودعًا في كيانها- إنها أشبه بالنواة من الشجرة والبذرة من النبات لا ينكشف ما بها حتى تعلق بالأرض وتترعرع وتنمو ثم تزهر وتثمر، وكما أنه بالتجربة والاختيار قد عرف مقدمًا ما تعطيه نواة هذه الشجرة أو تلك من ثمر، حلو أو مر، إذا هي غرست في مغارسها وتهيأت لها أسباب الحياة والنماء، كذلك يعرف الكلام الطيب وما يثمر من ثمر طيب، والكلام الخبيث وما يثمر من خبيث، إذا هو وقع من النفوس الموقع، الذي يهيئ له حياة، ويقيم له وجودًا.

فدعوات الرسل والمصلحين والقادة والعلماء والحكماء، ليست إلا كلمات، تحمل في كيانها معاني الحق والخير، وترسم من مفاهيمها مناهج العدل والإحسان.. ثم تدع للناس أن يتناولوها كيف شاؤوا، أو يتعاملوا معها حسب ما أرادوا.. فمنهم من يجد فيها هداه وصلاح أمره في الدين والدنيا جميعًا.. ومنهم من لا يقيم لها وزنًا ولا يرفع لها رأسًا ولا يمد نحوها يدًا.

وبهذا تختلف حظوظ الناس من هذا الخير المتاح لهم.. فمنهم من يأخذ حظه كاملاً، ومنهم من لا ينال شيئًا.. وهكذا تتفرق السبل بين مهتدٍ وضالّ ومستقيم ومنحرف وسعيد وشقي.

قال العلماء: "وإن الكلمة الخبيثة- كلمة الباطل- لكالشجرة الخبيثة قد تهيج وتتعالى وتتشابك ويخيل إلى بعض الناس أنها أضخم من الشجرة وأقوى، ولكنها تظل نافشة هشة، وتظل جذورها في التربة قريبة حتى لكأنها على وجه الأرض.. وما هي إلا فترة ثم تجتث من فوق الأرض، فلا قرار لها ولا بقاء.

ليس هذا وذلك مجرد مثل يضرب، ولا مجرد عزاء للطيبين وتشجيع؛ إنما هو الواقع في الحياة، ولو أبطأ تحققه في بعض الأحيان.

والخير الأصيل لا يموت ولا يذوي مهما زحمه الشر وأخذ عليه الطريق، والشر كذلك لا يعيش إلا ريثما يستهلك بعض الخير المتلبس به- فقلما يوجد الشر الخالص-، وعندما يستهلك ما يلابسه من الخير فلا تبقى فيه منه بقية، فإنه يتهالك ويتهشم مهما تضخم واستطال.

فهي أمثال مصداقها واقع في الأرض، ولكن الناس كثيرًا ما ينسونه في زحمة الحياة". انتهى بتصرف.

قال القطان في تيسير التفسير: "وإن الكلمة الخبيثة، كلمة الباطل كالشجرة الخبيثة التي لا تنفع الناس، ليس لها قرار ثابت وقد اقتلعت من فوق الأرض؛ لأن جذورها غير قوية، فكما أن هذه الشجرة لا ثبات لها ولا دوام، فكذلك الباطل لا يدوم ولا يثبت". اهـ.

« يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا » (إبراهيم:٢٧):

قال القرطبي: نزلت في عذاب القبر: يقال: من ربك؟ فيقول: ربي الله وديني دين محمد، فذلك قوله: « يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ » (إبراهيم:٢٧)، قلت (أي القرطبي): وقد جاء هكذا موقوفًا في بعض طرق مسلم عن البراء والصحيح فيه الرفع كما في صحيح مسلم وكتاب النسائي وأبي داود وابن ماجه وغيرهم..».

وقيل معنى: «يثبت الله» يديمهم الله على القول الثابت.

وقيل: يثبتهم في الدارين جزاءً لهم على القول الثابت. وقال القفال وجماعة: في «الحياة الدنيا» أي في القبر؛ لأن الموتى في الدنيا إلى أن يبعثوا وفي الآخرة عند الحساب. وحكاه الماوردي عن البراء قال: المراد بالحياة الدنيا المسألة في القبر، وبالآخرة المسألة في القيامة.

« وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ » (إبراهيم:٢٧) أي: عن حجتهم في قبورهم. اهـ. القرطبي.

وقال ابن عاشور في التحرير والتنوير في قوله تعالى: « وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ » (إبراهيم:٢٧) أي: المشركين: أي يجعلهم في حيرة وعماية في الدنيا والآخرة، والضلال: اضطراب وارتباك فهو الأثر المناسب لسببه، أعني الكلمة التي اجتُثت من فوق الأرض كما دلت عليه المقابلة، والظالمون: المشركون، قال الله تعالى: « إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » (لقمان:١٣). اهـ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ذنب كبير وعقاب أليم

الحمد لله، وأصلي وأسلم على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فهذا ذنب من كبائر الذنوب اقترفته أمة من الأمم القديمة فاستحقت أن يدمر الله عليهم ويهلكهم؛ فكانوا بذلك عبرة في الأولين ومثلاً للآخرين، هذا الذنب الكبير: هو الآفة الكبيرة التي ارتكبها قوم شعيب عليه السلام، في غابر الأزمان، وقصَّ علينا القرآن قصتها في غير موضع من سوره: أن هؤلاء غالوا في تطفيف الكيل وبخس الميزان، فكانوا من أخبث الناس معاملة؛ يبخسون الميزان، ويطففون المكيال، كانوا كما قيل عنهم: يأخذون بالزائد ويعطون بالناقص.

إعداد عبده أحمد الأقرع

ويتضح خبث من يفعل ذلك ودناءته إذا علمت أنهم أشد على الناس من اللصوص؛ لأن السارق لا يستطيع أن يتحايل على الناس، ولا يجد ما يستر به جريمته فهو في نظر الناس سارق على أيِّ وضع يكون عليه، أما هؤلاء فيرتكبون جريمتهم تحت ستار المعاملة الحرة وبأداة العدل: «الكيل والميزان»؛ لذلك أعد الله تعالى لمرتكبي هذه الجريمة ما أعده من العذاب والنكال.

والتطفيف كما هو معلوم يكون بالبخس في الكيل والميزان، وهو نقص يخون به صاحبه في كيل أو وزن، وهو ضرب من الخيانة وأكل لأموال الناس بالباطل، وهو علة العلل وآفة الآفات في ميدان البيع والشراء، وقد قصَّ الله علينا في القرآن الكريم خبر نبي الله شعيب عليه السلام مع قومه حين استفحل فيهم واستشرى في مجتمعهم جريمة التطفيف، وعدم الوفاء في الكيل والميزان، فقال الله تعالى: «وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨٥) وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا

وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ» (الأعراف: ٨٥- ٨٦).

نبَّه نبي الله شعيب عليه السلام قومه إلى مجموعة من الأمور لا يصلح أن تكون فيهم ولا أن تصدر منهم؛ لأن بها محق البركة وذهابَ الثروة، وكل الدلائل تشير إلى أنه يتمنى لهم الخير لأن الله أرسله إليهم،

فأولاً: أعطوا الناس حقهم كاملاً بالوزن الذي تزنون به والكيل الذي تكيلون به،

وثانيًا: لا تأخذوا من الناس شيئًا ولا تظلموهم في البيع والشراء،

وثالثًا: لا تعملوا في الأرض بالفساد والمعاصي بعد أن أصلحها الله بإرسال المرسلين.

ورابعًا: لا تقطعوا الطريق على المارة وتخوفوهم بالقتل بغية ابتزاز أموالهم وصدهم عن هداية الله وانحرافهم عن الطريق المستقيم.

وخامسًا: اذكروا حين كنتم قلة مستضعفين فصيَّركم الله كثرةً وهي نعمة يجب لها الشكر. فاعتبروا بما نزل من عقاب للأمم السابقة انتقامًا منهم حين عصوا رسل الله، وقال الله تعالى: «وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَـٰقَوْمِ أَوْفُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ» (هود: ٨٤-٨٦).

كرَّر نبي الله شعيب عليه السلام نفس الدعوة على قومه كي يرجعوا عن الفعلة القبيحه ثم تراه ينبه على أمرين زيادة على ما سبق؛

الأول: أنه رآهم في سعة من الرزق وبحبوحة من العيش وكثرة من نعم الحياة، وكل ذلك يجعلهم في غنى عن نقص الكيل والميزان: «إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ» (هود: ٨٤).

والثاني: أنه ينبههم: أنَّ ما يتبقى لكم من ربح البيع والشراء خير لكم من أخذ أموال الناس عن طريق التطفيف، ورزق الله خير لكم من هذا الاعتداء على أموال الغير؛ «بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ» (هود: ٨٦).

وفي موضع آخر يقول الله تعالى حكاية عن نبيه شعيب عليه السلام وهو يوجِّه قومه على ترك هذه المعصية: «أَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ» (الشعراء: ١٨٤). ولكن القوم تطاولوا عليه- عليه السلام- « قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ» (الشعراء: ١٨٥- ١٨٨)، فكانت عاقبتهم كما قال الله تعالى: « فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ» (الأعراف: ٧٨)، أي: هامدين لا حراك لهم.

وقال تعالى: « وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ

﴿ يَغْنَوْا فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴾ (هود: ٩٤- ٩٥)، وقال الله تعالى: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الشعراء:١٨٩).

سبحان الله!! أنواع من العذاب في سورة «هود» الصيحة، وفي «الأعراف» الرجفة، وفي سورة «الشعراء» عذاب يوم الظلة، وهي أمة واحدة اجتمع عليهم يوم عذابهم هذه النقم كلها، وإنما ذكر فيها في كل سياق ما يناسبه، ففي الأعراف لما قالوا: ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا ﴾ (الأعراف:٨٨)، ناسب أن يذكر هناك الرجفة فرجفت بهم الأرض التي ظلموا بها وأرادوا إخراج نبيهم منها.

ولما أساؤوا الأدب في مقالتهم على نبيهم ذكر الصيحة التي أخمدتهم، وفي الشعراء لما قالوا: ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (الشعراء:١٨٧) قال: ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ (الشعراء:١٨٩)، وهذا من الأسرار الدقيقة ولله الحمد والمنة كثيرًا دائمًا. (تفسير القرآن العظيم ٢/٤٧٤).

وإذا كان قد حدث هذا لأمة سابقة فكانت عبرة ومثلاً لمن يأتي بعدهم إلى يوم الدين، فهل اتعظ الناس فأقلع كل غاش، وانتهى كل مطفف عن هذا المنكر؟!

إن هذه الآفة تلازم الناس طالما هناك بيع وشراء، وطالما لا يخشون الله، ولا يخافون من عقابه، ومن أجل ذلك كان الأمر من الله أمرًا قاطعًا بالوفاء، قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (الإسراء:٣٥)، كما توعد الله المطففين، ولقد أبرز القرآن هذا الوعيد الشديد في صورة عذاب أكيد في الآخرة في مطلع سورة حملت اسم هؤلاء المعتدين على حقوق الناس وأموالهم مع ما يكون لهم في الدنيا من القحط والمجاعات والأزمات الطاحنة وذهاب البركة من الزروع والثمرات وشدة الجدب، قال الله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (المطففين: ١- ٦).

كما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن آفة التطفيف تمحق البركة وتقضي على الأمن والاستقرار، وأشفق على أصحابه الذين رباهم منها، فقال عليه الصلاة والسلام: «يا معشر المهاجرين، خصالٌ خمسٌ إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن...»، وذكر صلى الله عليه وسلم: «ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم». (صحيح الجامع: ٧٩٧٨).

وقال نافع: كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول له: «اتق الله.. أوف الكيل والوزن بالقسط فإنَّ المطففين يوقفون يوم القيامة حتى يلجمهم العَرقُ إلى أنصاف آذانهم».

من أجل ذلك كانت وظيفة الحسبة والمحتسب من الوظائف المهمة في المجتمع الإسلامي؛ حفظًا لحقوق الناس، ومراقبة هؤلاء الناس ومنعهم من التلاعب بأقوات الناس وأموالهم.

اللهم إني أعوذُ بك من قلب لا يخشع، ومن دعاءٍ لا يُسمع، ومن نفسٍ لا تشبعُ، ومن علم لا ينفعُ، أعوذ بكَ من هؤلاء الأربع. (صحيح الجامع: ١٢٩٧).

والحمد لله رب العالمين.



احذروا المعاصي

الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. وَالصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، الَّذِي أَرْسَلَهُ رَبُّهُ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا. أمّا بَعْدُ: فإن المعصية هي مخالفة أوامر الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، من أجل ذلك أحببت أن أُذكِّرَ نفسي وأحبابي الكرام بخطورة المعاصي وأثرها السيئ على الفرد والمجتمع. فأقول وبالله تعالى التوفيق:

(١) المعاصي سبب غضب الله على صاحبها:

عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، «لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، وَلَعَنَ اللَّهُ مَنْ غَيَّرَ الْمَنَار(أي: حدود الأرض)» (مسلم حديث: ١٩٧٨).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: لَعَنَ اللَّهُ السَّارِقَ. (مسلم حديث: ١٦٨٧).

وعن إِبْنِ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ، وَشَارِبَهَا، وَسَاقِيَهَا، وَبَائِعَهَا، وَمُبْتَاعَهَا (الذي يشتريها)، وَعَاصِرَهَا، وَمُعْتَصِرَهَا، وَحَامِلَهَا، وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ» (حديث صحيح، صحيح أبي داود للألباني حديث ٣١٢١).

قَالَ الشَّاعِرُ:

إعداد: صلاح نجيب الدق

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ
هَذَا وَرَبِّي فِي الْقِيَاسِ شَنِيعُ
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ
إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

(٢) المعاصي تذل صاحبها:

الْمَعْصِيَةُ تُورِثُ الذُّلَّ لِصَاحِبِهَا؛ فَإِنَّ الْعِزَّ كُلَّ الْعِزِّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر: ١٠)؛ أَيْ: فَلْيَطْلُبْهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لاَ يَجِدُهَا إلاَّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ.وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ بَعْضِ السَّلَفِ: اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي بِطَاعَتِكَ وَلاَ تُذِلَّنِي بِمَعْصِيَتِكَ. (الجواب الكافي، لابن القيم، صـ٨٦).

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ (رحمهُ اللَّه):

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ

وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ
وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

(الآداب الشرعية، لابن مفلح الحنبلي، جـ ١، صـ١٤٤)

(٣) المَعَاصِي سَبَبٌ نِسيان العِلْم:

الْعِلْمُ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللهُ تَعَالَى فِي الْقَلْبِ، وَالْمَعْصِيَةُ تُطْفِئُ ذَلِكَ النُّورَ.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه: «إِنِّي لَأَحْسَبُ أَنَّ الرَّجُلَ يَنْسَى الْعِلْمَ قَدْ عَلِمَهُ بِالذَّنْبِ يَعْمَلُهُ» (جامع بيان العلم، لابن عبد البر، جـ١ـ صـ٦٧٥، رقم: ١١٩٥).

كَانَ الإِمَامُ أبو حنيفة (رحمهُ اللّهُ) إذا أَشْكَلَتْ عَلَيْهِ مسألة قَالَ لأَصْحَابه مَا هَذَا إِلاَّ لذنب أحدثته وَكَانَ يسْتَغْفر وَرُبمَا قَامَ وَصلى فتنكشف لَهُ المسألة وَيَقُول رَجَوْت أَنِّي تيب عَلَيَّ. (الجواهر المضية، محيي الدين الحنفي، جـ٢، صـ٤٧٨).

قال علي بن خشرم (رحمهُ اللّهُ) رأيت وكيعَ بن الجراح (رحمهُ الله) وما رأيت بيده كتاباً قط إنما هو يحفظ فسألته عن دواء الحفظ. فقال: ترك المعاصي ما جربت مثله للحفظ. (تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، جـ٢، صـ١٢٩).

قَالَ مَالِكُ بنُ أَنسٍ (رحمهُ اللّهُ) للشَّافعيِّ (رحمهُ اللّهُ): إنَّ اللهَ أَلْقَى عَلَى قَلْبِكَ نُورًا، فَلاَ تُطْفِئْهُ بِظُلْمَةِ الْمَعْصِيَةِ. (تهذيب الأسماء، للنووي، جـ١، صـ٤٧).

قَالَ الإمامُ الشَّافعيُّ (رحمهُ اللّهُ):

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي
فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ المَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ العِلْمَ نُورٌ
ونورُ اللهِ لا يُهدى لعاصي

(ديوان الشافعي، صـ٦١)

(٤) المعاصي تنصر أعداء العاصي عليه:

كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما ومن معه من الأجناد: أما بعد، فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو، وأقوى المكيدة في الحرب. وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم. وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة؛ لأن عددنا ليس كعددهم، ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا. واعلموا أن عليكم في مسيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون، فاستحيوا منهم، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله، ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا وإن أسأنا، فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني إسرائيل، لما عملوا بمَسَاخط الله، كفّار المجوس فَجَاسُوا خِلاَلَ الدِّيارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً، واسألوا اللهَ العونَ على أنفسكم، كما تسألونه النصر على عدوكم. أسألُ اللهَ ذلك لنا ولكم. (العقد الفريد لابن عبد ربه جـ١ صـ٩٢).

(٥) المعاصي تسود وتميت قلب صاحبها

المعاصي لها آثارٌ خطيرةٌ على القلوب أعظمُ من آثار الآلام على الأبدان، فهي تجلبُ الهموم والأحزان لصاحبها، وعندما تكثر المعاصي فإنها تميت القلب، فيصبح لا خير فيه. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ، صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ، زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ (الطبع) الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ: (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) (المطففين: ١٤) (حديث حسن: صحيح ابن ماجه، للألباني، حديث: ٣٤٢٢).

(٦) المَعَاصِي سَبَب قلة الرزق والبَركة عند صاحبها

إِنَّ العَبْدَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ،

وَتَمْحَقُ الْبَرَكَةَ عِنْدَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

فإذا أذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الباهلي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي (أوحي إليّ) أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلَا يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةٍ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ» (حديث صحيح: صحيح الجامع، للألباني، حديث: ٢٠٨٥).

(٧) المعاصي تسبب الإهانة لصاحبها:

قال الله تعالى: (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ) (الحج: ١٨)، قَالَ الإمامُ ابنُ القيم (رحمه الله): المَعَاصي تَسْلُبُ صَاحِبَهَا أَسْمَاءَ الْمَدْحِ وَالشَّرَفِ، وَتَكْسُوهُ أَسْمَاءَ الذَّمِّ وَالصَّغَارِ، فَتَسْلُبُهُ اسْمَ الْمُؤْمِنِ، وَالْبَرِّ، وَالْمُحْسِنِ، وَالْمُتَّقِي، وَالْمُطِيعِ، وَالْمُنِيبِ، وَالْوَلِيِّ، وَالْوَرِعِ، وَالصَّالِحِ، وَالْعَابِدِ، وَالْخَائِفِ، وَالْأَوَّابِ، وَالطَّيِّبِ، وَالْمَرْضِيِّ وَنَحْوِهَا.

وَتَكْسُوهُ اسْمَ الْفَاجِرِ، وَالْعَاصِي، وَالْمُخَالِفِ، وَالْمُسِيءِ، وَالْمُفْسِدِ، وَالْخَبِيثِ، وَالْمَسْخُوطِ عليه ، وَالزَّانِي، وَالسَّارِقِ، وَالْقَاتِلِ، وَالْكَاذِبِ، وَالْخَائِنِ، وَقَاطِعِ الرَّحِمِ، وَالْغَادِرِ وَأَمْثَالِهَا. (الجواب الكافي، لابن القيم، ص٨٤).

(٨) المَعَاصي تجعل صاحبها ينسى نفسه من الخير:

من الحقائق الثابتة أن المعاصي تجعلُ العبدَ ينسى نفسه، فيخسر الدنيا والآخرة.

قَالَ تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (الحشر: ١٨-١٩)؛ أَمَرَ اللهُ تعالى بِتَقْوَاهُ وَنَهَى أَنْ يَتَشَبَّهَ عِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ بِمَنْ نَسِيَهُ بِتَرْكِ تَقْوَاهُ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ عَاقَبَ مَنْ تَرَكَ التَّقْوَى بِأَنْ أَنْسَاهُ نَفْسَهُ، أَيْ أَنْسَاهُ مَصَالِحَهَا، وَمَا يُنْجِيهَا مِنْ عَذَابِهِ، وَمَا يُوجِبُ لَهُ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ، وَكَمَالَ لَذَّتِهَا وَسُرُورِهَا وَنَعِيمِهَا، فَأَنْسَاهُ اللهُ ذَلِكَ كُلَّهُ جَزَاءً لِمَا نَسِيَهُ مِنْ عَظَمَتِهِ وَخَوْفِهِ، وَالْقِيَامِ بِأَمْرِهِ، فَتَرَى الْعَاصِيَ مُهْمِلًا لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ مُضَيِّعًا لَهَا، قَدْ أَغْفَلَ اللهُ قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا، قَدِ انْفَرَطَتْ عَلَيْهِ مَصَالِحُ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، وَقَدْ فَرَّطَ فِي سَعَادَتِهِ الْأَبَدِيَّةِ، وَاسْتَبْدَلَ بِهَا أَدْنَى مَا يَكُونُ مِنْ لَذَّةٍ، إِنَّمَا هِيَ سَحَابَةُ صَيْفٍ. وَأَعْظَمُ الْعُقُوبَاتِ نِسْيَانُ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ، وَإِهْمَالُهُ لَهَا، وَإِضَاعَتُهُ حَظَّهَا وَنَصِيبَهَا مِنَ اللهِ، وَبَيْعُهَا ذَلِكَ بِالْغَبْنِ (الخسران) وَالْهَوَانِ وَأَبْخَسِ الثَّمَنِ. (الجواب الكافي، لابن القيم، ص١٠٠).

(٩) المعاصي تجعل صاحبها مفلساً من الحسنات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ» (مسلم حديث: ٢٥٨١).

(١٠) المعاصي تهلك الإنسان وماله:

قال الله تعالى: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٨) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٧٩) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨٠) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا

كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ) (القصص:٧٦:٨١).

١١ - المعاصي سبب الفساد في الأرض

قال تعالى: (ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) (الروم: ٤١)؛ **المَعاصي تُحْدثُ في الأَرْض أَنْواعا منَ الْفَسَاد في المْيَاه والْهَواء، والزَّرْع، والمْسَاكن.**

١٢ - المعاصي تزيل النعم عن المجتمع:

قَالَ الشَّاعرُ:

إذَا كُنْتَ في نعْمَة فَارْعَهَا

فَإِنَّ المَعَاصيَ تُزِيلُ النِّعَمْ

وَحَام عَلَيْهَا بِشُكْرِ الإِلَه

فَإِنَّ الإِلَهَ سَرِيعُ النِّقَمْ

(أدب الدنيا والدين، للماوردي، صـ ٢٤٥).

من الحقائق الثابتة والمعلومة لدى العقلاء من الناس أن المعاصي تزيل النُّعَم عن المجتمع. وسوف نذكرُ بعض الأمثلة:

(١) قوم هود:

قال سبحانه: (فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ) **(فصلت:١٦-١٥).**

(٢) قوم صالح:

قال الله تعالى: (وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ) **(فصلت:١٧- ١٨).**

(٣) قوم لوط:

قال سبحانه عن قوم لوط: (فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ) **(هود:٨٢- ٨٣).**

(٤) قوم شعيب:

قال الله تعالى عن قوم شعيب: (قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ) **(الأعراف: ٨٨- ٩١).**

(٥) قوم سبأ:

قال سبحانه: (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) **(سبأ: ١٥- ١٩).**

(٦) فرعون وقومه:

قال الله تعالى: (وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ) **(الدخان: ١٧- ٢٩).**

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للَّه رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَصَلَّى اللّه وَسَلَّمَ عَلَى سَيِّدنَا مُحَمَّد، وَعَلَى آله، وَأَصْحَابِه، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْم الدِّين.

تهنئة

تتقدم أسرة مجلة التوحيد بخالص التهنئة للرجل الخلوق المحترم الدكتور متولي البراجيلي، الكاتب بمجلة التوحيد، وذلك بمناسبة حصوله على درجة الدكتوراه، من قسم الشريعة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، وكان موضوع الرسالة: «تنوع قرائن السياق وأثره على الأحكام الفقهية، دراسة أصولية».

وقد تكونت لجنة المناقشة من كلٍّ من:

أ.د/ حسين سمرة، أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم، مشرفًا.

أ.د/ محمد حسن عبد العزيز، أستاذ اللغة بكلية دار العلوم، مشرفًا.

أ.د/ محمود عبد الرحمن، أستاذ ورئيس قسم أصول الفقه بكلية الشريعة، جامعة الأزهر بالقاهرة، مناقشًا.

أ.د/ إبراهيم عبد الرحيم، أستاذ الشريعة بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة، مناقشًا.

وقد حصل الباحث على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى.

وأسرة مجلة التوحيد تتمنى للباحث مزيدًا من التوفيق.

رئيس التحرير

تهنئة

كما تتقدم أسرة مجلة التوحيد بخالص التهنئة للدكتور محمد السيد إسماعيل أبو السعود، وذلك بمناسبة حصوله على درجة الدكتوراه، من كلية أصول الدين، جامعة المنوفية، قسم التفسير وعلوم القرآن، وكان موضوع الرسالة: «الأقوال التفسيرية في معجم تاج العروس للزبيدي».

وقد تكونت لجنة المناقشة من كلٍّ من:

أ.د/ شحات حسيب الفيومي، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالمنوفية، مشرفًا.

أ.د/ رمضان عبد العزيز عطا الله، أستاذ ورئيس قسم علوم القرآن بكلية أصول الدين بالمنوفية، مشرفًا.

أ.د/ ربيع العشري سويلم، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بالمنوفية، مناقشًا.

أ.د/ محمود لطفي جاد، أستاذ قسم التفسير وعلوم القرآن، بكلية أصول الدين بالقاهرة، مناقشًا.

وقد حصل الباحث على تقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى.


التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
اطلبوها من باعة الصحف والمكتبات
ثمن الكرتونة
١٠٠٠ جنيه
مجلدات التوحيد مكتبة علمية .. تحتاج إليها
المكتبة الإسلامية
المكتبة العامة
مكتبتك الخاصة
الأسرة المسلمة
لا يستغني عنها بيت مسلم
الموسوعة العلمية والمكتبة الإسلامية في شتى العلوم من مجلة التوحيد
أكثر من ٨٠٠٠ بحث في كل العلوم الشرعية داخل مجلدات التوحيد
كتابات وأبحاث وإنتاج فكري لمشايخ وعلماء ودعاة من مصر والعالم الإسلامي
للاستفسار يرجى الاتصال
بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد
23936517